

الحرب الأهلية الأسبانية

تجربة أناركية

تأليف: إيدي كونلون

الفصل الأول – التمرد والمقاومة

كانت أوروبا في ثلاثينات القرن العشرين تمر بإحدى أسوأ فترات هبوطها. تداعيات انهيار 1929 في وول ستريت كانت واسعة الانتشار. ولم تكن حال أسبانيا مختلفة.

بحلول العام 1936 ارتفعت نسبة البطالة إلى 30% في العديد من المدن، والبلدات. كان هناك مليون عاطل ضمن قوة عمل قوامها ثلاثة ملايين.

الأرض

بمقاييس أوروبا كانت أسبانيا بلدا متخلفا بشكل واضح. التطور الصناعي كان محدودا، وكان 70% من الناس يقتاتون من الزراعة. كان 52% من القوى العاملة يعملون بالزراعة التي شكلت من نصف إلى ثلثي صادرات أسبانيا.

كان توزيع الأراضي في أسبانيا أسوأ توزيع في أوروبا. 2% من الملاك كانوا يملكون 67% من الأرض. عام 1936 كان 10,000 مالك يجوزون نصف أراضي البلد. النصف الباقي كان بحوزة "الملاك المتوسطين"، والفلاحين. كان عدد "الملاك المتوسطين" أكبر من عدد الملاك الكبار، ولكنهم أيضا كانوا يملكون عزبا كبيرة يعمل بها الفلاحون الذين يحصلون على نسبة من المحصول، والكادحون الذين لا يملكون أراض يزرعوها.

كُتب الكثير عن الحرب الأهلية الأسبانية، ولكن مشاركة الأناركيين فيها إما كانت تُهمل، أو تُختزل إلى أكاذيب وقحة، أو تعميمات مشوهة تصفهم بالمخربين. وقد كتب هذا المنشور لإعادة الأمور إلى نصابها. هذا المنشور ليس تأريخا للحرب الأهلية الذي يتطلب مئات الصفحات لإيفاء الموضوع حقه. لقد كُتب لكشف "التاريخ الخفي" لمساهمة الأناركيين في النضال ضد الفاشية.

لم يُكتب هذا المنشور للفائدة الأكاديمية، ولكن لأهمية الأناركية الآن بقدر أهميتها وقت الحرب. لقد شهدنا نتائج الديمقراطية الاجتماعية وأحزائها العمالية، وشهدنا ما فعله الستالينيون في روسيا، وفي الصين، وفي ألبانيا، والدول التي سيطروا عليها، كما رأينا كيف فشل نقادهم اليساريون في الحركة التروتسكية في استيعاب المشكلة الحقيقية؛ الفكرة السلطوية القائلة بأنه يمكن تغيير العالم فوق رؤوس العمال. في الحقيقة يمكن تغييره بهذه الطريقة، لكنه لن يكون أفضل بكثير.

الأناركية فقط هي التي تبتعد عن هذا المبدأ الاشتراكية المبنية على الحرية الشخصية، وعلى مجالس العمال. لهذا، ورغم أربعة عقود من القمع، ظهر اتحاد العمال الكونفيدرالي الوطني كاتحاد حقيقي بعد وفاة فرانكو. إننا نعتقد أن الأناركية ليست مجرد اختيار ضمن اختيارات أخرى لمن يريدون عالما أفضل، لكنها ضرورة كما يثبت تاريخ كل حركات اليسار الأخرى.

كان الفلاحون، ويبلغ عددهم 5 ملايين، يملكون باقي الأراضي. ولأن مساحة الأرض التي يملكها الفرد منهم كانت صغيرة اضطروا للعمل فيها بأنفسهم، إلا أن بعضهم كانوا يؤجرون فلاحين للعمل مقابل نسبة من المحصول.

الازدهار

ازدهرت أسبانيا خلال الحرب العالمية الأولى، التي بقيت فيها على الحياد. انتعشت الزراعة نتيجة اتساع السوق الأجنبي لصادراتها. كما تحولت قليلا إلى النشاط الصناعي. ولكن انتهت فترة الازدهار بانتهاء الحرب، خاصة عندما وقفت الحواجز الجمركية التي فرضتها بريطانيا، وفرنسا في وجه الصادرات الأسبانية.

جنت طبقة ملاك الأرض منافع فترة الازدهار، لكن الفلاحين هم من عانوا وقت الانهيار. كانت أحوال أسبانيا في الثلاثينات مشابهة لأحوال الشرق. كانت المجاعات تحل بين مواسم الحصاد. نقلت صحافة هذا الوقت تقارير عن أحياء كانت تغتاش على الجذور، والخضر المسلوقة. كان التحول للصناعة مقصورا على منطقة كاتالونيا. أصبحت كاتالونيا، التي تقع أقصى شمال أسبانيا بمحاذاة فرنسا، وخاصة عاصمتها برشلونة، قلب أسبانيا الصناعي بحكم احتوائها لـ 70% من الصناعات، التي يعمل بها 50% من العمال الصناعيين. هجر الكثير من الفلاحين أراضيهم باحثين عن عمل في برشلونة، ما زاد من نسبة البطالة.

إلى جانب ذلك سيطرت الكنيسة الكاثوليكية، والجيش على المجتمع. كان هناك 25,000 كاهن أبرشية، و 70,000 آخرين منتظمون في جماعات دينية. امتلك اليسوعيون وحدهم 30% من ثروة البلاد. كان أعضاء الجماعات الدينية في الواقع أكثر من طلاب المدارس الثانوية عددا. بينما وصل عدد الأميين إلى ملايين (40% لم يستطيعوا القراءة، أو الكتابة)، استمرت الكنيسة في التبشير بخرافات، وأحداث غير معقولة مثل التماثيل الباكية، والصلبان التي تنضح دما.

اشتهرت الكنيسة بتأييد الأسياد، وبينما كان الرهبان يعيشون في رفاهية، كان الفلاحون حولهم يموتون جوعا. كانت الكنيسة، بلا عجب، مكروهة.

كان الجيش يشتهر بعدد ضباطه الكبير. كان هناك ضابط واحد لكل ستة جنود! تطورت طبقة الضباط الاجتماعية تحت الحكم الملكي (الذي انتهى عام 1931)، وأصبحت مسؤولة عن إدارة المستعمرات، بالإضافة للبلد نفسها. بحكم تحدرهم من الطبقة العليا، ارتبطت طبقة الضباط بروابط القرابة، والصدقة، والوضع الاجتماعي مع أصحاب الصناعات، وملاك الأراضي الرجعيين.

الجمهورية

ولدت الجمهورية الأسبانية عام 1931. عندها اعتقد العمال، والفلاحون الذين رزحوا لسنوات

تحت نير الديكتاتورية أنه سوف يتم تحديث البلد، وستبدأ ظروف معيشتهم في التحسن. لكن اعتقادهم كان خاطئا. مثال واحد يفي بغرض إثبات ذلك. قامت الحكومة الجمهورية بإنشاء معهد الإصلاح الزراعي ليتولى النظر في إعادة توزيع الأراضي. باعتراف المعهد نفسه، كان برنامجه ليستغرق قرنا كاملا ليتم تطبيقه. لم يقم تحالف الجمهوريين، والديمقراطيين الاجتماعيين الذي وصل إلى السلطة عام 1931 سوى بالقليل من أجل تحسين الظروف المعيشية للأغلبية الساحقة من العمال. بقيت نسب البطالة عالية، وعانت منظمات العمال، خاصة اتحاد العمال الكونفيدرالي الوطني، من القمع مع اعتقال العديد من أعضائها. بحلول يونيو من العام 1933 كان هناك 9,000 معتقل سياسي.

رفضت الحكومة أن تتحدى أصحاب الصناعات، وملاك الأراضي، وضباط الجيش، والأساقفة. لم تقبل أن تتصدى لهذه القلة التي سيطرت على الثروة والنفوذ. وفي انتخابات 1933 خسروا مقابل ائتلاف يميني وصل إلى السلطة.

عندها بدأ ما عرف بـ "بينو نيجرو"، السنتين السوداوين. بدأ اليمين بالهجوم. أصبح الآن حلف الثروة، والنفوذ مسيطرًا على الدولة، وكان مصمما على استعمال موقعه في تدمير مقاومة الطبقة الكادحة، والفلاحين. كان عليهم صيانة امتيازاتهم على حساب العمال.

بالطبع لم يمر هذا مرور الكرام. قام الاتحاد الكونفيدرالي بتنظيم نفسه كأفضل ما يستطيع ضد الحكومة. واندلعت انتفاضة في كاتالونيا في ديسمبر، عقب تغيير الحكومة. سُحقت الانتفاضة بعد 10 أيام من قيامها. في السنة التالية ثار العمال أعضاء الاتحاد الكونفيدرالي إلى جانب زملائهم في الاتحاد العام للعمال (الذي كان يسيطر عليه الحزب الاشتراكي) في إقليم أوسترياس. وسيطر العمال على وسائل الإنتاج، ورفع أعضاء الاتحاد العام السلاح في وجه الدولة. لسوء الحظ كانوا منعزلين عن باقي البلد. وعندما هزموا وقعت مذبحه غير مسبوقه أعدم فيها ما لا يقل على 3,000 إنسان.

بحلول الوقت الذي أجبرت فيه الحكومة على التنحي، وإقامة الانتخابات في فبراير 1936، كان هناك 30,000 معتقل سياسي. فازت بالانتخابات الجبهة الشعبية، وهي ائتلاف من الجمهوريين، والديمقراطيين الاجتماعيين، وستاليني الحزب الشيوعي. كان سبب فوزهم الرئيسي أن الاتحاد الكونفيدرالي لم يحمي بحملة لدعوة العمال لمقاطعة الانتخابات. لقد كان الاتحاد يقوم بهذه الحملة سابقا لأنه كان يؤمن بأن صندوق الانتخاب هو خدعة بالأساس، حيث كان يمكنك من أن تختار من يحكمك، لا إن كنت تريد أن تكون محكوما أم لا. بدلا من ذلك قالوا أن على العمال الاعتماد على أهميتهم الصناعية لتغيير الأوضاع.

هذه المرة صمت الاتحاد الكونفيدرالي تاركا لأفراده اتخاذ قرار التصويت، أو المقاطعة. أظهرت النتائج أنهم قد صوتوا، خاصة وأن الجبهة الشعبية وعدت بعفو عام عن المعتقلين. بالرغم من ذلك لم ينتظر العمال أن تتصرف الحكومة، بل فتحوا السجون بأنفسهم، وأخرجوا رفاقهم. ولم يتوقف الأمر عند ذلك. كانت نتائج الانتخابات دافعا لبدء الهجوم. لقد صوتوا من أجل التغيير، وإن لم تكن الحكومة ستحققه لهم، كانوا سيحققونه بأنفسهم.

الإضرابات

بين الانتخابات التي أقيمت في فبراير، والثورة الفاشية في يوليو، كان هناك 113 إضرابا عاما، و228 إضرابا عاما جزئيا، و145 تفجيرا، و269 قتيلا، و1287 جريحا، و215 اعتداء، و160 حادثة حرق لكنائس. لم يكن كل هذا بالطبع جزءا من برنامج الجبهة الشعبية الذي كان مائعا، ومركزا بالأساس تجاه الحفاظ على الوحدة ضد الفاشية. لم يكن يهدف إلى تحطيم الرأسمالية، وسلطة النخبة الأسبانية. بالرغم من ذلك تخطت قطاعات من الحزب الاشتراكي برنامج الجبهة، وانضم بعضهم من أعضاء الاتحاد العام إلى رفاقهم في الاتحاد الكونفيدرالي في محاربة سلبية الحكومة.

أضرب 30,000 من عمال الناجم في إقليم أستوريا في الثالث عشر من يونيو، وبحلول التاسع عشر من يونيو كان 90,000 من عمال المناجم في أنحاء البلاد في إضراب عن العمل.

كان هناك إضراب عام واحد على الأقل في كل مدينة مهمة. زاد عدد المضربين في أول أيام يوليو عن مليون مضرب. لم تكن مطالب المضربين التي قاتلوا من أجلها اقتصادية فقط، بل شملت مطالب سياسية أيضا. كانت هناك مظاهرة كبيرة في الرابع عشر من يوليو أمام السفارة البرازيلية. حمل العمال لافتات تقول: "الوزراء الجمهوريون يستمتعون بأوقاتهم بينما يموت العمال."

بينما فعلت الحكومة الجمهورية ما بوسعها للسيطرة على الوضع، أدان الحزب الشيوعي الإضرابات لأنها سببت الصدام بين العمال، والحكومة. ملأت الحكومة السجون عن آخرها، وأغلقت مكاتب الاتحاد الكونفيدرالي.

الانقلاب

بازدياد يأس الطبقات الحاكمة، قررت التخلص من الديمقراطية النيابية، وتدمير منظمات العمال. لا يعادي الأسياد الفاشية دائما، لأنهم يعلمون أنه يمكنهم اللجوء إليها أحيانا. إن ثرواتهم، وامتيازاتهم تأتي في منزلة أهم من كل الاعتبارات الأخرى. في ألمانيا، وإيطاليا قرروا أنه يجب سحق الطبقة العاملة المنظمة ليتمكنوا من التمسك بثرواتهم، ويستمرروا في جني الأرباح. قد يعادي بعضهم الفاشية في البداية، وهذا ما فعله البعض في أسبانيا، ولكنهم قبلوا بها حين رأوا أنها ضرورية للحفاظ على نفوذهم. في إقليم الباسك عارض القوميون الفاشيين في البداية. ولكن عندما اتضح أن عليهم الاختيار بين

الفاشية، والثورة الاجتماعية لم يقاوموا فرانكو كثيرا.

كان يفترض أن يقع الانقلاب في السابع عشر من يوليو. اتخذت الخطوة الأولى عندما استولى فرانكو على المغرب، وأصدر "بيانا راديكاليا". التقط البيان هاوي لاسلكي مخلص، وأرسله إلى وزير البحرية. ظل خبر الانقلاب سرا حتى الساعة من مساء الثامن عشر من يوليو. ظلت الحكومة تؤكد أن البلاد تحت سيطرتها. كانت تعني هذا أنها تحاول التوصل لاتفاق مع الفاشيين. استقالت الوزارة في الثامن عشر من يوليو، وتولى بوريوس، الجمهوري اليميني، رئاسة الوزارة.

الجماهير

لم يتم تدمير خططهم للتوصل إلى اتفاق إلا بنشاط الطبقة العاملة المنظمة. أحرز الفاشيون بعض التقدم في أجزاء من البلاد، ولم تقابلهم إلا معارضة ضعيفة نتيجة تردد الحكومة. ولكن في كاتالونيا، وخاصة في برشلونة، ضرب عمال الاتحاد الكونفيدرالي مثالا في القتال. لقد أعلنوا إضرابا عاما، ونزلوا إلى الشوارع باحثين عن الأسلحة بعد أن رفضت الحكومة تزويدهم بها.

في النهاية اقتحموا الثكنات، واستولوا على ما أرادوا. ساعدتهم في هذا بعض الجنود الذين ظلوا مخلصين، والذين أدار بعضهم أسلحتهم إلى وجوه ضباطهم.

وعلى الفور أقام العمال المتاريس، وفي غضون ساعات هزم الانقلاب. صودرت الأسلحة، ووزعت على مجموعات العمال التي أوفدت إلى مناطق أخرى لمنع قيام انقلابات أخرى. أنقذت بطولة، ومبادرة العمال مدريد أيضا. فور سماعهم بما حدث في برشلونة قاموا باقتحام ثكنات مونتانا؛ قاعدة الجيش الرئيسية في المدينة.

أما في فالنسيا فقد حاصروا الثكنات، وظل الوضع كذلك لمدة أسبوعين. واستمرت الحكومة في رفضها لتسليح العمال، ولم يتمكنوا من الاستيلاء على الثكنات إلا بعد أن أرسلت لهم الأسلحة من برشلونة، ومدريد. وفي أوسترياس هزم المتمردون بعد معركة طويلة قتل فيها الكثير. عندها جهز عمال المناجم رتلا من 5,000 مسلح بالديناميت وساروا إلى مدريد.

كانت مبادرة العمال، والفلاحين حول البلاد مفاجئة للفاشيين. كان هذا ما حدث في ثلاثة

أرباع البلد. في باقي المناطق فات الوقت بسبب تردد مسؤولي الحكومة. فشل العمال في سرقسطة في إخماد الانقلاب. وصف خوان لوبيز، أحد قيادات الاتحاد الكونفيدرالي المحاربين، الوضع قائلا: "لقد أهدرنا الكثير من الوقت في حضور المقابلات مع الحاكم المدني، حتى أننا صدقنا وعوده."

بهذا أنقذت القواعد، والجماهير الجمهورية الأسبانية. لم يقاتل أعضاء الاتحاد الكونفيدرالي فقط، ولكن انضم أعضاء الاتحاد العام، وأعضاء حزب العمال الماركسي الوندوي أيضا إلى المعركة. لم تكن هذه بالنسبة للعمال مجرد حرب لهزيمة الفاشيين، ولكن بداية ثورة. تم تأسيس ميليشيات عمالية مستقلة عن الدولة. استولى العمال على وسائل الإنتاج التي هجرها أسيادها السابقون، وفي الريف استولى الفلاحون على الأراضي. كانت هذه فرصة سانحة للأناركيين لتطبيق أفكارهم.

الفصل الثاني – تجربة أناركية

إلى الفقر، والمجاعات، والحروب. إن الأناركيين يعادون السلطة بمعنى معادة "حق" أي أقلية صغيرة في امتلاك النفوذ، والسيطرة على الآخرين. إنهم يعادون الدولة (بمعنى الحكومة، والجيش، والشرطة، وإحكام) كمؤسسة تهدف لفرض رغبة أقلية على الأغلبية بالقوة.

الأناركية هي مجموعة من الأفكار أسيء فهمها إلى أقصى حد. دائما ما يتم تصويرها على أنها تعني الفوضى، والعنف. لا يمكن أن يكون هناك وصف أبعد من هذا عن الحقيقة. يؤمن الأناركيون بخلق مجتمع بلا طبقات. إنهم يعادون الرأسمالية كنظام يقدم مصالح قلة من الأسياد على احتياجات الأغلبية الساحقة. إنه نظام يقوم على استغلال العمال؛ نظام يؤدي لا محالة

يؤمن الأناركيون بالصراع الطبقي؛ بأن
الأسبياد، والعمال ليس لهم مصالح مشتركة،
وأن على العمال تنظيم أنفسهم ليتولوا إدارة
أمر المجتمع. إن العمال العاديون قادرون تماما
على إدارة المجتمع. سيتم هذا عبر نظام من
مجالس العمال التي تطبق ديمقراطية الجماهير،
والتي ستكون أكثر جذرية، وكفاءة من النظام
الحالي. يدافع الأناركيون عن حرية الأفراد،
ويعادون أي قمع على أساس العرق، أو النوع،
أو التوجه الجنسي. ينبغي أن يكون المحدد
الوحيد لحرية الفرد ألا يتعدى على حريات
الآخرين.

لقد عارض الأناركيون منذ البداية، وما زالوا،
بناء رأسمالية الدولة البيروقراطية في روسيا. لقد
دعموا الثورة في البداية، ولكنهم كانوا ضد
محاولات البلاشفة للاستيلاء على السلطة، وبذر
بذور "ديكتاتورية الحزب". يعتقد الأناركيون
أن طريقة التنظيم التي تتبعها تعكس طبيعة
المجتمع الذي تريده. لا تستطيع الأقليات تحرير
الطبقة العاملة، سيكون على الطبقة العاملة
النضال لتحرير نفسها. تشكل الديمقراطية
والمسؤولية حجر الزاوية في التنظيم الأناركي.
والفعل المباشر هو الطريق. إنهم، بدلا من
الاعتماد على مجموعات صغيرة، يقولون بأن
لدى العمال القوة لتغيير المجتمع. تكمن قوتهم
في إمكانية تنظيمهم لأنفسهم في أماكن العمل؛
قوة يمكن استخدامها ليس فقط في الحصول
على مكاسب من أصحاب العمل، ولكن
لإسقاط النظام الرأسمالي في النهاية. هذا

الاعتقاد هو قلب الأناركية. لا يريد الأناركيون
أن يسيطر العمال على الصناعة وفقط، بل
يريدون مجتمعاً لا سلطة فيه، ولا ينتظر الناس
فيه أن يدير أحد حياتهم.

باكونين

كان للأناركية، وما زال، تاريخاً طويلاً في
أسبانيا. وصلت الأناركية إلى أسبانيا منتصف
القرن الماضي على يد فرانيلى، أحد المناصرين
الإيطاليين لميخائيل باكونين، الذي كان أحد
مؤسسي الأناركية الحديثة. أنشئ حينها فرع
أسباني في جمعية الشغيلة العالمية (الأممية الأولى)،
وأخذ أغلبية أعضائها صف الأناركيين
بالجمعية.

تطورت الأناركية باضطراب نتيجة الظروف
الصعبة التي عانى منها العمال، والفلاحون. تبني
العمال بشكل متصاعد أفكار السينديكالية، أو
الأناركو-سينديكالية، التي تطورت مع بداية
القرن. شهد العام 1911 تكون اتحاد العمال
الكونفيدرالي الوطني. تطورت السينديكالية
كنتيجة لإصلاحية النقابات المهنية الموجودة
فعليا، ولانعزالية الأناركيين المتزايدة عن جماهير
العمال. حدث هذا كنتيجة لتحول عدد قليل
من الأناركيين للإرهاب، ومبدأ "الدعاية
بالفعل"؛ المبدأ القائل بأنه يمكنهم تحريض
الجماهير على الثورة بالقيام باعتداءات على
الأسبياد.

كانت السينديكالية محاولة لخلق رابط بين
الحركة الأناركية، والعمال في المصانع.

تمحورت أفكارها الأساسية حول تجميع كل
العمال في اتحاد واحد كبير. اتحاد فيدرالي ينضم
إليه كل الموظفين في مجال ما. وينضمون
للآخرين في مجالات أخرى في نفس المنطقة،
لتكوين اتحاد فيدرالي في كل منطقة. ويتحد
المندوبون عن هذه الاتحادات لتكوين اتحاد
فيدرالي إقليمي، ينضم إلى الاتحادات الفيدرالية
الإقليمية الأخرى لتكوين اتحاد فيدرالي وطني.
يتم انتخاب كل المندوبين الممثلين للاتحادات،
ويمكن عزلهم، وإعادة انتخابهم. يحصل
المندوبون على تفويض واضح، وإذا خرق
مندوب شروط تفويضه عزل واستبدل بآخر.

البيروقراطية

لقد بُذلت الكثير من الجهود لمنع نمو بيروقراطية
الموظفين غير المبررة. لم يكن هناك سوى
موظف واحد بدوام كامل في الاتحاد
الكونفيدرالي بأكمله. كان العمل الخاص
بالاتحاد يؤدي خلال ساعات العمل إن أمكن،
وبعد انتهاء الدوام إن تعذر ذلك. كان هذا
كفيلاً بإبقاء مسؤولي الاتحاد على اتصال
بالمصانع. كان الخوف من البيروقراطية كبيراً
لدرجة أنه أدى لمعاداة قوية للاتحادات الفيدرالية
الصناعية التي تربط وسائل الإنتاج في مجال
واحد فقط. تم الاعتراف به أخيراً في 1931،
ولكن لم يتم بناؤه بشكل كامل أبداً.

ميز السينديكاليون أنفسهم عن باقي الاتحادات
باعقادهم أن فائدة الاتحادات لا تكمن فقط
في الحصول على مكاسب من أصحاب

الأعمال، ولكن أيضا في إسقاط النظام الرأسمالي. لقد آمنوا بأن الاتحاد السينديكالي سيكون رأس الحربة الذي سيطيح بالرأسمالية. وآمنوا بأن السبب وراء عدم كون معظم العمال ثوريين أن اتحاداتهم كانت إصلاحية، ومسيطر عليها من قبل البيروقراطية التي تولت زمام المبادرة بدلا من القواعد الجماهيرية. كان بديلهم أن ينظموا كل العمال في اتحاد واحد تحضيرا للإضراب العام الثوري.

لقد شهد الاتحاد الكونفيدرالي نموا مضطربا منذ إنشائه، وبحلول وقت اندلاع الحرب الأهلية كان عدد أعضائه ما يقرب من المليونين. كانت أقوى معاقله في كاتالونيا، والأندلس. كما كان له أتباع كثر في جاليسيا، وأستورياس، وليغان، وسرقسطة، ومدريد. كانت قوته مركزة بين عمال النسيج، والبناء، والأخشاب، والعمال الزراعيين. وبسبب تبنيه للخطاب الداعي للثورة الاجتماعية كان الاتحاد هدفا للقمع الوحشي، ليس فقط تحت حكم شبه الديكتاتورية التي حكمت حتى عام 1931، بل وأيضا تحت حكم الحكومات "الإصلاحية" التي تبعته. انضمت الجبهة الشعبية، مع مناصريها من الاشتراكيين الديمقراطيين، والستالينيين، إلى القائمة بضرها للاتحاد بلا رحمة.

اللا سياسية

لم يكن الاتحاد الكونفيدرالي تنظيما سياسيا ثوريا. بل كان اتحادا صناعيا. لقد أصر في الواقع باستمرار على تجنب الممارسة السياسية،

وجادل دائما أن كل ما يلزم لقيام الثورة هو استيلاء العمال على المصانع، والأراضي. بعد ذلك ستسقط الدولة وكل المؤسسات السياسية الأخرى. لم يؤمن الاتحاد بوجود استيلاء الطبقة العاملة على السلطة السياسية. بالنسبة له كان يجب إلغاء كل السلطات فورا.

وحيث أنه كان اتحادا ينظم كل العمال بغض النظر عن توجهاتهم السياسية، انضم العديد من العمال إليه، ليس لأهم أناركيون، ولكن لأنه كان الاتحاد المحارب، والذي كان يحرز النتائج فعليا. في الواقع، لقد زادت عضويته لأكثر من الضعف (كما كان هذا الحال أيضا بالنسبة للاتحاد العام). كان هذا، جزئيا على الأقل، راجعا لاضطرار العمال للانضمام لأحد الاتحادات.

هكذا يتضح أن الاتحاد الكونفيدرالي كان مفتوحا أمام هؤلاء الذين لم يكونوا أناركيين. كان هناك العديد من النزاعات الداخلية، وظهرت بداخله نزعات إصلاحية. لهذا أنشئ الاتحاد الفيدرالي للأناركيين الأيريين عام 1927. كان مبنيا على مجموعات ناشطين صغيرة محلية أفقية التنظيم، ولم يكن متجنبا للممارسة السياسية كالاتحاد الكونفيدرالي. لقد أنشئ ليعمل على إبقاء الاتحاد الكونفيدرالي "نقيا" وفقا لشروطه. وقد نجح في هذا،

وأصبح الكثير من أعضائه قياديين في الاتحاد الكونفيدرالي. كما أنشئت منظمات أناركية أخرى عندما اندلعت الحرب الأهلية، وهي:

الاتحاد الفيدرالي الأيبيري للشبان التحرريين، والنساء الحرائر (موخيريس ليريس). مما لا شك فيه أن رد الفعل الأولي على انقلاب فرانكو تقرر بفعل انتشار الاتحاد الكونفيدرالي، وأفكاره الأناركية وسط قطاعات واسعة من الطبقة العاملة. لم ينتظر أحد أن يتحرك وزراء الحكومة، لقد أخذ العمال بزمام الأمور. يمكن أن نرى تأثير الأناركيين في تكوين الميليشيات، ومصادرة، وإعادة توزيع الأراضي، والاستيلاء على الصناعات.

الميليشيات

وجدت الحكومة نفسها في وضع غريب عندما هدأت الأوضاع بعد التاسع عشر من يوليو. بقيت حكومة، ولكن بلا سبيل إلى ممارسة سلطتها. ثار معظم الجيش ضدها بشكل واضح. تم إخماد التمرد، ولكن كان الجيش منحلا، وكانت الأسلحة في أيدي العمال. شرعت النقابات المهنية، والمنظمات اليسارية فورا في تنظيم العمال المسلحين. تكونت الميليشيات، وأصبحت الوحدات التي تكون منها الجيش الثوري. بعد الانقلاب بعشر أيام كان هناك 18,000 عامل منتظمين في ميليشيات في كاتالونيا. أغلبيتهم الساحقة من أعضاء الاتحاد الكونفيدرالي. في المحمل كان هناك 150,000 متطوع جاهزين للقتال متى طلب منهم.

لم يكن هذا جيشا عاديا. لم يكن له زي رسمي (حددت أوشحة الرقبة المنظمة التي ينتمي إليها

عضو الميليشيا)، ولم يكن هناك ضباط يتمتعون بمزايا دوناً عن الجنود العاديين. كان جيشاً ثورياً يعكس مبادئ صفوفه الثورية. كانت الديمقراطية هي القائدة.

كانت وحدته الأساسية المجموعة، والتي تتكون عادة من عشرة كانوا ينتخبون مندوباً. كونت كل عشر مجموعات قرناً كان ينتخب مندوباً أيضاً. كان أي عدد من القرون يكون رتلاً، وكان لكل رتل لجنة حرب مسؤولة عن كل أنشطة الرتل. كانت اللجنة تنتخب، وتعتبر مسؤولة أمام العمال. كانت الأرتال عادة تضم ضباطاً سابقين، وخبراء مدفعية تحصل منهم على النصيحة، ولكن لم تكن لهم أي سلطة.

انضم العمال إلى الأرتال لأنهم أرادوا ذلك. لقد فهموا أهمية القتال، وأهمية إنشاء "جيش شعبي". قبلوا الانضباط ليس لأن أحداً ما أجبرهم عليه، ولكن لأنهم أدركوا الحاجة إلى التحرك بشكل منظم. قبل الأعضاء الأوامر لأنهم وثقوا هؤلاء الذين يصدرونها. لقد كانوا منتخبيين من القواعد نفسها التي ينتمون إليها. كانت لكل منظمة ميليشيا، وغالباً ما كانت لها جرائدها الخاصة. كانت هذه منظمات سياسية تعي الرابط بين السياسة الثورية، والحرب. لم تضع الميليشيات التي تكونت في برشلونة وقتاً أثناء السير إلى أراجون حيث تقع العاصمة سرقسطة التي وقعت في أيدي الفاشيين. قاد رتل دوروتي، الذي سمي باسم أحد قياديي الاتحاد الكونفيدرالي المحاربين، المسيرة، وحرر قرية بعد أخرى بالتدريج. كان الهدف هو

تحرير سرقسطة، التي كانت تربط كاتالونيا بالمنطقة الصناعية الثانية؛ إقليم الباسك، الذي كان يضم صناعات ثقيلة، ومصانع إنتاج حربي، بالإضافة لكونه مصدراً للمواد الخام.

ضرب رتل دوروتي مثلاً في قتال الفاشيين. لقد أدركوا أن الحرب الأهلية هي معركة سياسية، وليست مجرد صراع عسكري. بينما أخذوا في تحقيق الانتصار تلو الآخر، شجعوا الفلاحين على الاستيلاء على الأراضي، وتحويلها للنظام الجماعي. وفر لهم الرتل الحماية اللازمة لفعل ذلك. هرع إليهم الفلاحون. وأطعموا العمال المحاربين، وانضم الكثير منهم إلى الرتل. في الواقع لقد التمس دوروتي من بعضهم أن يبقى، ولا ينضم للرتل حتى لا تخلو الأرض من السكان، وحتى يتحقق هدف الجمعية.

بينما حققت الميليشيا الأناركية النجاح تلو الآخر، كانت تخسر أراضيها على الجبهة الأخرى. مع ذلك لم تسقط سرقسطة، ونشأت جبهة طويلة. كانت الميليشيا تلام على ذلك. كان الستالينيون يقولون أن العمال يفتقرون إلى الانضباط، ولا يطيعون الأوامر. واتهموا الأناركيين بأنهم غير مستعدين للعمل مع الآخرين لهزم الفاشيين.

بالطبع كان هذا كلاماً فارغاً. لقد استمر الأناركيون في في الدعوة إلى توحيد الجهود في الحرب، وحتى إلى توحيد القيادة. مع ذلك كانوا يطالبون ببقاء السيطرة على الجيش في يد الطبقة العاملة. لم يؤمنوا بأن توحيد القيادة

يتطلب إعادة تأسيس النظام العسكري القديم القائم على سمو طبقة الضباط.

كانت المشكلة الكبرى التي تواجه الميليشيات هي نقص الأسلحة. كانت مصانع الذخيرة معزولة، وكان العمال يحاولون جاهدين أن يرتحلوا. كانت الأسلحة تصنع، وتنقل إلى الجبهة، ولكن لم يزل عددها غير كاف. وصف جورج أورويل (الذي قاتل في إحدى ميليشيات حزب العمال الماركسي الوجودي) الأسلحة التي كانت على جبهة أراجون قائلاً إن تسليح المشاة "كان أسوأ بكثير من فيالق تدريب الضباط في المدارس العامة البريطانية. كان تسليحهم من بنادق ماوزر المستعملة، والتي كانت غالباً ما تتعطل بعد إطلاق خمس طلقات، ورشاش واحد لكل خمسين رجلاً، وطبنجة أو مسدس لكل ما يقرب من ثلاثين رجلاً. لم تكن هذه الأسلحة، التي كنت مهمة جداً في حرب الخنادق، من صنع الحكومة. الحكومة التي كانت ترسل أولاداً بسن الخامسة عشرة إلى الجبهة مسلحين ببنادق عمرها أربعين عاماً، وتبقي خيرة رجالها، وأحدث أسلحتها في المؤخرة. كانت خائفة بشكل واضح من الثورة أكثر من خوفها من الفاشيين."

ولكم كان محقاً. فرضت بريطانيا حصاراً منع بيع الأسلحة لأي من الطرفين، ولكن لم يطبق حتى منتصف أغسطس. كان بإمكان الحكومة، التي كانت تملك 600,000,000 دولاراً من الذهب، أن تحصل على الأسلحة. في النهاية أرسل الذهب إلى موسكو في صفقة بودل فيها

بالأسلحة. ولكن عندما وصلت الأسلحة كان هناك رفض ممنهج لتزويد جبهة أراجون التي يسيطر عليها الأناركيون بالأسلحة. أرسلت الأسلحة التي وصلت بالفعل إلى المناطق المسيطر عليها من قبل الستالينيين. علق أحد مسؤولي وزارة الحرب على الأسلحة التي وصلت في سبتمبر قائلا: "لقد لاحظت أنها لم تكن توزع بكميات متساوية، ولكن كان هناك تفضيل واضح للوحدات المكونة للفوج الخامس". كان هذا الفوج مسيطرا عليه من قبل الستالينيين. أجبرت مصانع الذخيرة الكاتالونية، التي كانت تعتمد على الحكومة المركزية للحصول على التمويل، على تسليم منتجاتها إلى الجهات التي تختارها الحكومة. كان منع الأسلحة هذا جزءا أساسيا في استراتيجية الستالينيين، وحلفائهم في الحكومة لكسر شوكة وهيبة الاتحاد الكونفيدرالي. أراد الشيوعيون تقويض جهود الميليشيات حتى يعيدوا إنعاش الجيش النظامي. لكننا سنتحدث بالكثير عن هذا لاحقا.

لم يؤثر نقص الأسلحة هذا على جبهة أراجون وفقط، سقطت إيرون أيضا بسببه. وصف أحد المراسلين الوضع قائلا: "لقد قاتلوا لآخر رصاصة (عمال إيرون). لقد رشقوا الفاشيين بحزم الديناميت عندما نفذت ذخيرتهم. وعندما نفذ مخزونها من الديناميت، اندفعوا عزلا نحو الأعداء، الذين كانوا أقوى منهم بستين مرة، وقد ذبحوهم بجراحهم. في أوستريا منع العمال من التقدم نحو أوفيدو، مسلحين بما هو أكثر قليلا من البنادق والديناميت الخام. رغم أنهم

تضرعوا للحصول على بضع طائرات، وقطع مدفعية، إلا أنهم حُذِلوا. مرة أخرى، كان لخوف الحكومة من العمال الثوريين الأولوية على هزيمة الفاشيين.

إن القول بأن عدم انضباط الميليشيات، وعدم السيطرة عليها كانا السبب في تقدم فرانكو هو كذبة شائعة. لم يشهد كل من رأى الميليشيات تعمل إلا بالثناء على بطولتها. لقد اتخذت الحكومة قرارها بعد التداول. لقد اختارت أن تحرم العمال الثوريين من الأسلحة، أن هزيمة الثورة كانت أكثر أهمية من هزيمة الفاشية.

الأراضي

لم يحتج دوروتي لأن يطالب الفلاحين بالسيطرة على الأراضي. لقد استمروا في محاولة فعل ذلك منذ أسست الجمهورية. في الحقيقة، أرسلت أولى حكومات الجمهورية قوة لقتل الفلاحين الذين استولوا على الأرض. قُتل 109 عمال في أول سنتين للجمهورية. لقد وصلت الثورة الأسبانية لذروتها في الريف. تشربت قطاعات كبيرة من الفلاحين المسحوقين بفلسفة الأناركية. في الواقع، تعمق الاتحاد الكونفيدرالي في مؤتمره لعام 1936 كثيرا في مناقشة الشكل الذي سيكون عليه المجتمع الأناركي مستقبلا. واقتنص الفلاحون الفرصة لتطبيق هذه الأفكار.

لقد أظهرت مجهوداتهم ما يمكن للكادحين (الذين قد يكون معظمهم أميين) فعله إذا تهيأت الظروف. لقد دحضوا الادعاء القائل بأن

الأناركية مستحيلة لأن المجتمع سيتداعى إن لم يكن هناك أسيد، أو حكومة، أو سلطة.

لقد اتسعت عمليات الاستيلاء الجماعي على الأراضي بشكل كبير. تم الاستيلاء على ما يقرب من ثلثي الأراضي في المناطق الخاضعة لسيطرة القوات الجمهورية المعادية للفاشية. تم هذا بمشاركة ما بين خمسة، وسبعة ملايين فلاح. كانت أكبر المناطق التي تمت فيها عمليات الاستيلاء في أراجون حيث بواقع 450 جموعية، وليفان (المنطقة القريية من فالنسيا) بواقع 900 جموعية، وكاستيلا (المنطقة المحيطة بمدريد) بواقع 300 جموعية. لم يقيم الفلاحون بالاستيلاء على الأرض بشكل جماعي فقط، ولكن أيضا أنشئت ورش لإنتاج الأدوات، والأثاث، إلخ ليعمل فيها التجار المحليون. كما قرر العاملون بالبنوك، والجزارون، والحلاقون، إلخ، أن يديروا أعمالهم بشكل جماعي.

كان العمل الجماعي تطوعيا، ولذلك اختلف عن "الجموعية" التي ترأسها ستالين في روسيا. عادة ما كان يدعى لاجتماع في القرية، حيث كان هناك قرية تتوسط كل جموعية، يتفق فيه الحاضرون على تجميع ما لديهم من أدوات، وحيوانات. وكان هذا يضاف إلى ما تم الاستيلاء عليه من ملاك الأراضي الكبار. قُسمت الأرض إلى وحدات معقولة، وأحيلت إلى مجموعات من العمال لتشغيلها. وكان لكل مجموعة مندوب لتمثيل رؤاها في اجتماعات الجموعية. كان يتم انتخاب لجنة إدارية أيضا

لتكون مسؤولة عن إدارة شؤون الجمعية العامة. كانت اللجنة تهتم بشراء المواد الخام، والمبادلة مع المناطق الأخرى، وتوزيع الإنتاج، والأعمال العامة كبناء المدارس مثلاً. كانت كل جمعية تعقد اجتماعاً عاماً لكل المشاركين فيها بشكل دوري.

إن لم ترغب في الانضمام إلى الجمعية، فإنك تعطى قطعة من الأرض بقدر المساحة التي تستطيع تشغيلها بنفسك. لم يكن يسمح بتوظيف العمال. تأثر الإنتاج، كما كان التوزيع يتم على أساس ما يحتاجه الناس. وقد ألغيت النقود في عديد من المناطق. كان الناس يذهبون إلى مخزن الجمعية (غالباً ما كانت المخازن هي كنائس تم تحويلها إلى مستودعات) للحصول على ما يتوفر من تموين. إذا كان هناك عجز، فإنه يتم تفعيل نظام الحصص لتوفير أنصبة عادلة لكل الناس. ولكن عادة ما كانت زيادة الإنتاج تقضي على العجز في ظل النظام الجديد.

أتت الثورة في وقت مناسب بالنسبة للزراعة. كانت المحاصيل توزع على محتاجيها بدلاً من تجميعها، وبيعها لتحقيق الأرباح الضخمة لبضع من ملاك الأراضي كما كان يحدث سابقاً. كان الأطباء، والمصرفيون، والحلاقون، إلخ، يحصلون على ما يحتاجون في مقابل خدماتهم. في المناطق التي لم تلغ فيها النقود، استعمل فيها ما سمي بـ "أجرة العائلة" ليكون الأجر على أساس الحاجة، وليس عدد ساعات العمل.

زاد الإنتاج بشكل كبير. ساعد الفنيون، والمهندسون الزراعيون الفلاحين في تحقيق أقصى استفادة من الأرض. تم استخدام وسائل علمية حديثة في الزراعة، وازدادت إنتاجية الأرض في بعض المناطق بأكثر من 50%. كان هناك ما يكفي لإطعام الجمعويين، والمليشيات في مناطقهم. عادة ما كان هناك ما يكفي لمبادلتهم مع الجمعويات الأخرى بالآلات. بالإضافة إلى ذلك كان الطعام يصل إلى لجان التموين التي كانت تهتم بالتوزيع في المناطق النائية.

وتماماً كما حدث للمليشيات، كانت الجمعويات تتعرض للتشهير بها. اهتمت الجمعويات بأن كل منها تهتم بنفسها فقط، ولا تكثرث للأخريات. إن هذا هراء، فقد أنشئت صناديق المساواة في العديد من المناطق لإعادة توزيع الثروة من المناطق الأغنى إلى المناطق الأفقر. كانت الخبثات والآلات تُنقل إلى المناطق التي تحتاجها. في الواقع، كان أحد مؤشرات انتشار شعور التضامن أن انتقل 1,000 جمعي من ليفان، التي كانت متقدمة بشكل كبير، إلى كاستيلا للمساعدة.

تم إنشاء اتحادات فيدرالية من الجمعويات، وكان أنجحها ذلك الذي أنشئ في أراجون. وفي يونيو من العام 1937، عقد اجتماع عام لاتحادات الفلاحين الفيدرالي في الإقليم. كان الهدف من الاجتماع إنشاء اتحاد فيدرالي وطني "من أجل تنسيق، ومد الحركة الجمعوية، ولضمان المساواة في توزيع إنتاجية الأرض،

ليس فقط بين الجمعويات، ولكن على مستوى البلد." للأسف تم تدمير الكثير من الجمعويات قبل تنفيذ هذه الفكرة، لم يكن جيش فرانكو هو من دمرها، بل جنود اللواء الستاليني ليستر.

لم يكن الرفاه المادي كل ما يهتم به الجمعويون. لقد كانوا متعهدين بالتعليم، ونتيجة لمجهوداتهم تلقى العديد من الأطفال تعليمهم لأول مرة. لم تكن تلك مدارس عادية أيضاً. لقد طبقت فيها طريقة التعليمي الأناركي الشهير فرانسيسكو فيرير. كان الأطفال يلقنون مهارات القراءة، والكتابة الأساسية، وبعد ذلك كانوا يشجعون على تنمية مهاراتهم الاستطلاعية. تم الاهتمام بكبار السن أيضاً، وبنيت منازل مخصصة لهم عندما اقتضت الحاجة. كما تم الاعتناء باللاحثين القادمين من المناطق التي سيطر عليها الفاشيون.

الصناعة

لم تتجذر الثورة في المدن كما تجذرت في الريف. كانت كاتالونيا، معقل الصناعة، وقلة الاتحاد الكونفيدرالي، أقصى ما وصلت إليه الثورة. تم تحويل 3,000 شركة في برشلونة إلى جمعويات. تمت السيطرة على كل الخدمات العامة، وإدارتها بواسطة لجان من العمال، ليس فقط في كاتالونيا، ولكن بطول وعرض المنطقة الجمهورية.

لإعطاء فكرة عن مدى انتشار الجمعية، نسرده قائمة بالمؤسسات التي تم تحويلها إلى جمعويات من مراقب (بيرنت بولوتن، في كتابه الخديعة

الكبرى، وهو ليس كتابا أناركيا بأي حال).

يقول فيه: "تمت مصادرة خطوط السكة

الحديد، وعربات القطار، والحافلات، وسيارات

الأجرة، وسفن الشحن، وشركات الإنارة

الكهربية، والطاقة، ومحطات الغاز، والمياه،

ومصانع تجميع السيارات الهندسية، والمناجم،

ومصانع الغزل والنسيج، والورق، والمصانع

المتصلة بالكهربائيات، والكيماويات، ومصانع

الزجاجات، والعطور، ومصانع تجهيز الأغذية،

ومصانع البيرة، وتشغيلها بواسطة لجان من

العمال. ويتابع قائلا: "صودرت كذلك مساح

الصور المتحركة، والمساح القانونية، والجرائد،

والمطابع، والدكاكين، والمتاجر متعددة الأقسام،

والفنادق، والمطاعم الفاخرة، والحانات."

يتضح من هذا أن تصوير الأناركية على أنها

شيء ما متصل بالورش الصغيرة اللطيفة ادعاء

باطل. لقد تمت السيطرة على مصانع كبيرة،

بعضها يعمل به آلاف العمال، وإدارتها بواسطة

لجان العمال.

في الغالب كان الاستيلاء على وسائل الإنتاج

لأن ملاكها هربوا، أو أوقفوا الإنتاج لتخريب

الثورة. ولكن العمال لم يكتفوا بهذه الوسائل،

بل استولوا على كل الوسائل الأساسية. بعضها

أداره وشغله العمال. وأنشئت "لجان الإدارة"

في وسائل أخرى لضمان استمرار الإنتاج

(أنشئت هذه اللجان لممارسة حق النقض على

قرارات صاحب العمل في الأماكن التي لم

يستول فيها العمال على الإدارة).

كان جمهور العمال هو الوحدة الأساسية في

كل وسيلة إنتاج. كان العمال داخل المصنع

ينتخبون مندوبين يمثلونهم في الأمور اليومية.

بينما كان يجب عرض الأمور ذات الأهمية

العامة على جمهور العمال. كان جمهور العمال

ينتخب لجنة من خمسة إلى خمسة عشر عاملا،

الذين كانوا ينتخبون بدورهم مديرا للمكان

يشرف على إدارة العمل يوميا. كان لكل

صناعة مجلس صناعي يضم ممثلين عن الاتحادين

الرئيسيين (اتحاد العمال الكونفيدرالي الوطني،

والاتحاد العام للعمال)، وممثلين عن اللجان.

كانت اللجان تضم أيضا فنيين، لإعطاء

النصائح الفنية. كانت مهمة المجلس الصناعي

وضع خطة عامة للصناعة.

تمت مساواة الأجور داخل وسائل الإنتاج،

وتحسنت ظروف العمل بشكل كبير. لئر كيف

حسنت الجمعية الأمور فعليا. لتأخذ خطوط

الترام كمثال. كان 6,500 عامل، من أصل

7,000، أعضاء في الاتحاد الكونفيدرالي.

ولأن المعارك في الشوارع تسببت في توقف كل

وسائل النقل، عينت نقابة النقل (كانت

الاتحادات داخل الاتحاد الكونفيدرالي تعرف

بالنقابات) لجنة من سبعة عمال لاحتلال

المكاتب الإدارية، بينما يقوم آخرون بفحص

الطرق، ورسم خطة لأعمال الترميم المطلوبة.

بعد توقف القتال بخمسة أيام كان هناك 700

عربة ترام، بدلا من 600 كما كان معتادا،

مطلية بألوان الاتحاد الكونفيدرالي؛ الأحمر،

والأسود، تعمل في شوارع برشلونة.

عندما اختفى الربح كهدف من تشغيل الترام،

أصبحت السلامة هي الأهم، وقل عدد

الحوادث. كما انخفضت الأجرة، وتحسنت

الخدمة. خدمت خطوط الترام

183,543,516 راكبا في العام 1936.

وفي العام 1937 زاد هذا الرقم بخمسة ملايين.

كان الترام يدار بكفاءة عالية لدرجة أن العمال

استطاعوا أن يرسلوا النقود إلى قطاعات الترام

النائية. تساوى كل العمال في الأجور، وزادت

أجورهم عن المعدلات السابقة. وللمرة الأولى

تم توفير الرعاية الصحية للقوى العاملة.

وإلى جانب ارتفاع جودة الخدمة، وجد العمال

وقتا كافيا لصناعة الصواريخ، ومدافع الهاويتزر

للحرب. لقد عملوا لساعات إضافية، وأيام

الآحاد (الإجازة الأسبوعية) من أجل المساهمة

في النضال ضد الفاشية. أود الإشارة إلى أن

خلال سنتين من الجمعية، لم تحدث سوى 6

حالات لعمال يسرقون من الورش. من شأن

هذا أن يؤكد على حقيقة أن التخلص من

الأسياء، والحكام لا يؤدي إلى انهيار النظام.

لقد تمت عمليات إعادة تنظيم واسعة من أجل

زيادة كفاءة الصناعة. أغلقت العديد من

المصانع غير الاقتصادية الصغيرة، والتي كانت في

الأغلب غير صحية، وتركز الإنتاج في المصانع

التي تضم أفضل التجهيزات. لقد أغلق في

كاتالونيا 70 مسبك معادن. وقللت أعداد

مصانع الدباغة إلى 40 من أصل 71 مصنعا،

وأعاد اتحاد عمال الأخشاب في الاتحاد

الكونفيدرالي تنظيم صناعة الأخشاب بأكملها.

عام 1937 اعترفت الحكومة المركزية بأن الصناعات الحربية في كاتالونيا أنتجت ما يزيد على 10 أضعاف ما أنتجته باقي أسبانيا مجتمعة، وأن الإنتاجية كانت لتزيد بأربعة أضعاف إن توفرت لكاتالونيا الموارد المالية اللازمة لشراء المواد الخام.

لم تكن عملية الإنتاج كل ما استولى عليه العمال. لقد تم استثناء العديد من طفيلي الطبقة المتوسطة من عملية التوزيع. وتم الاستيلاء على تجارة السمك، والبيض بأكملها، بالإضافة إلى أسواق الفواكه، والخضروات الرئيسية. تم الاستيلاء على تجارة الألبان في برشلونة، وشهدت إغلاق أكثر من 70 مصنع بسترة لا تتبع إرشادات الأمان الصحي. وأنشئت لجان التموين في كل مكان. أغضب كل هذا الطبقة المتوسطة بشكل كبير. كانت الثورة بالنسبة لهم، ولآمالهم في التحول لأصحاب عمل كبار، خطوة للوراء.

مرة أخرى أنشئت صناديق المساواة لمساعدة الجمعيات الفقيرة. في الواقع كانت هناك العديد من المشاكل. فقد قطعت مناطق الفاشيين الكثير من طرق التجارة، كما خسرت الجمعيات بعض الأسواق الخارجية نهائياً. ونقصت المواد الخام بسبب انقطاع سبل التموين. وحينما توفرت السبل كانت الحكومة المركزية ترفض توفير المال اللازم لشرائها. كانت هذه نقضة ضعف لتجربة الجمعيات.

لم يتم الاستيلاء على البنوك، وبقي مخزون الذهب في أيدي الحكومة (دبر الاتحاد الكونفيدرالي خطة للاستيلاء عليها، ولكنه تراجع في آخر لحظة).

بالرغم من تلك العيوب، زاد الإنتاج، وتحسنت الظروف المعيشية للكثير من الكادحين. وأجبرت الحكومة، في أكتوبر 1936، على الاعتراف بالجمعيات بإصدار مرسوم يعترف بالأمر الواقع.

الثورة الاجتماعية

كانت هذه نظرة وجيزة جدا على تجربة الجمعيات التي حدثت. لم تتوقف الثورة، إيماناً بمبادئ الأناركية، عند هذا الحد. تمتع الكثير من العمال، لأول مرة في أسبانيا، بالرعاية الصحية، بتنظيم اتحاد عمال الصحة الفيدرالي ضمن الاتحاد الكونفيدرالي. كان الاتحاد الفيدرالي يتكون من 40,000 عامل صحة؛ ممرضون، أطباء، إداريون، ووصفاء. وهنا أيضاً كان نجاح كاتالونيا هو الأكبر، حيث تم ضمان حصول كل سكانها المليونين ونصف على الرعاية الصحية المناسبة.

بالإضافة إلى الخدمات الصحية التقليدية، كان ضحايا الحرب الأهلية يتلقون العلاج أيضاً. كما أنشئ برنامج للطب الوقائي يركز على المراكز الصحية المحلية. وقد طور هؤلاء العمال في مؤتمرهم العام في 1937 خطة للصحة لأسبانيا الأناركية مستقبلاً، وكان يفترض تطبيقها إن نجحت الثورة.

تغير أيضاً دور النساء. لقد حصلن على مكاسب كثيرة. أشار المراقبون أنهن، ومن خلال ملاحظة دورهن في الحرب الأهلية، شاركن بشكل كامل في مقاومة الفاشية. لقد كن حاضرات في كل مكان؛ في اللجان، والمليشيات، والصفوف الأمامية. وقاتلن جنباً إلى جنب مع الرجال في معارك الحرب الأولى بطبيعة الحال. لم يكن يقمن فقط بعمل الرجال الذين كانوا على الجبهة (وهو ما كان يحدث عادة في أوقات الحرب. وعندما كانت الحرب تنتهي، وتنتفي الحاجة للنساء كعاملات، كانت تتم إعادتهن إلى البيوت).

لقد كن ضمن المليشيات، وقاتلن إلى جنب الرجال كمنظيرات لهم. كما شاركن في تنظيم الجمعيات، وناضلن ضد السلوك الذكوري الذي كان سائداً في الماضي، وليس له مكان في أي ثورة حقيقية.

تكونت منظمة النساء الأناركية، موخيريس ليريس (النساء الحرائر)، من 30,000 عضوة. وقد كانت نشطة حتى قبل الحرب الأهلية؛ تنظم العاملات، وتنشر الوعي بتنظيم الأسرة. كما تم تقنين الإجهاض خلال فترة الحرب في "المنطقة الجمهورية". وفتحت المراكز للنساء، كل النساء. بمن فيهن غير المتزوجات، والعاهرات.

لقد تغيرت معاملة النساء بشكل حقيقي بكل المقاييس. وقالت إحدى النساء اللواتي شاركن في الحرب: "كان الأمر كما لو كنا إخوة،

وأحوات. لطالما أزعجني عدم اعتبار الرجال للنساء كآدميات لهن حقوق. أما الآن فقد حدثت تغييرات كبيرة. أعتقد أنها ظهرت بشكل عفوي من قلب الحركة الثورية..." - مارجوريتا بالاجير، من طبعة "دم أسبانيا" رونالد فريزر، صفحة 287.

كان التغيير جليا في كل مكان. تغيرت شخصية برشلونة تماما. لم تعد هناك مطاعم أنيقة، وحلت محلها مطاعم جموعية. كانت الروح الرفاقية في الجو.

تولت مجالس العمال والفلاحين الإدارة في كل مكان. كان مجلس دفاع أراجون أحد أوضح مظاهر سيطرة العمال. لقد أدار المحافظ، وقام بتنسيق العمل بين الجمعيات، والمليشيات.

كانت كل القوى المعادية للفاشية ممثلة فيه، ولكن كان الأناركيون أغلبية. في كاتالونيا، 21 يوليو، تشكلت لجنة مركزية من المليشيات المعادية للفاشية. كان بها خمس أعضاء أناركيين من أصل خمسة عشر، وثلاثة من الاتحاد العام، وواحد من حزب العمال، وواحد من الحزب الشيوعي، وأربعة جمهوريين. رغم أن الغلبة كانت للأناركيين إلا أنهم كانوا يأملون أنه بمشاركة النفوذ ستتكون لجان ماثلة في المناطق التي كان الاتحاد الكونفيدرالي فيها أضعف.

كان هذا هو الحال في عام 1936. رغم وجود الحكومة الجمهورية إلا أنه لم تكن لها أي سلطة. انتزعت السلطة من مؤسسات الدولة. فتتت السلطة والنفوذ إلى قطع لا حصر

لها وتناثرت في آلاف البلدات والقرى ضمن المجتمعات الثورية التي تولت إدارة الأراضي، والمصانع، ووسائل المواصلات، والاتصالات، والشرطة، والجيش. واستمر النضال العسكري، والاقتصادي، والسياسي بعيدا عن الحكومة، أو بالأحرى رغما عنها.

يعرف هذا الوضع بـ"السلطة المزدوجة". كانت سلطة الحكومة أضعف كثيرا من أن تتحدى سلطة العمال والفلاحين. لكنهم لم يكونوا واعين لأهمية التخلص من وجود الحكومة. وقد أدى فشلهم في فعل ذلك إلى استعادة الحكومة لنفوذها، والسيطرة على الوضع. لفهم ما حدث، وكيف يجب إلقاء نظرة على دور الحزب الشيوعي، وقيادة الاتحاد الكونفيدرالي

الفصل الثالث - الثورة المضادة

كان أداء الحزب الشيوعي الأسباني، وحزب كاتالونيا الاشتراكي المتحد مرتبطا بمصالح ستالين، أكثر من ارتباطه بمصالح الطبقة العاملة الأسبانية. لقد مضوا في طريقهم منكرين حدوث ثورة. وبعد ذلك قاموا بكل ما في وسعهم لقمع الثورة التي تظاهروا بأنها لم تحدث. كل ما اهتموا به في الحرب الأهلية هو إعادة الديمقراطية إلى أسبانيا. ولكي نرى ما دفعهم لتبني هذا السلوك علينا أن ننظر إلى خارج أسبانيا.

ستالين

آمن ستالين بأنه لا شيء يعلو فوق الدفاع عن "الاشتراكية" في الاتحاد السوفيتي. كان على مصالح الطبقة العاملة الأوروبية (والعالمية في الواقع) أن تحل ثانيا على قائمة الأولويات

الاستراتيجية للبيروقراطية الحاكمة في روسيا. وقد شعروا بتهديد كبير في الثلاثينات. لقد فترت العلاقة بين روسيا وألمانيا عندما صعد هتلر إلى السلطة عام 1933 رغم أن ستالين لم يكن يحاول إشعال نزاع مع ألمانيا (وقع ستالين تمديدا للاتفاقية الألمانية-السوفيتية بعد سيطرة النازيين على السلطة).

خشى ستالين من أن يعقد البريطانيون، والفرنسيون اتفاقا مع هتلر، مما يجعل روسيا معرضة للهجوم. لقد اعتقد أنهم سيسعدون بالجلوس مرتاحين ورؤية ألمانيا، وروسيا تجهدان في القتال. وعندما تجهد ألمانيا، روسيا نفسيهما ستصبح انجلترا، وفرنسا أسياد أوروبا.

ولهذا عقد ستالين اتفاقية تعاون مشترك مع فرنسا عام 1935. لكن لم يكن هناك التزام بالتعاون المشترك. بالنسبة لفرنسا، كانت طريقة لقطع كل علاقة باقية بين ألمانيا، وروسيا، وفي نفس الوقت للتخلص من معارضة الحزب الشيوعي الفرنسي لبرنامج الحكومة الدفاعي.

إذن كان يجب تصعيد الحكومات المعادية للأهداف الألمانية في أوروبا الشرقية إلى السلطة من أجل منع بريطانيا وفرنسا، من نبذ اختلافاتهما مع هتلر على حساب السوفييتات، وذلك من أجل ضمان ألا يسقط حلف فرانكو مع السوفييتات، ومن أجل بناء تحالفات مماثلة مع حكومات البلدان الأخرى؛ بريطانيا كما هو واضح. وهنا تم تبني خط الجبهة الشعبية في المؤتمر العام العالمي السابع للأمية الثالثة في أغسطس 1935. جمع هذا الكيان كل الأحزاب الشيوعية تحت قيادة روسيا.

الجبهات الشعبية

كان الهدف اللحظي من هذه السياسة تجميع كل الطبقات الوسطى، وقطاعات من الأسياد إلى جبهات شعبية واسعة معادية للفاشية. ومن أجل تحقيق هذا الهدف كان على الأحزاب

الشيوعية الانتقاص من السياسة الثورية. كان يفترض بهذا أن يكون نضالا من أجل الحفاظ على الديمقراطية البورجوازية، ولم يتم تبني أي مواقف راديكالية من أجل لجذب جمهوري الطبقة الوسطى، والأحزاب الليبرالية.

نجحت سياسة الجبهات الشعبية إلى حد كبير. وتم انتخاب حكومات تنتمي للجبهات الشعبية في فرنسا، وأسبانيا، في بداية العام 1936. كانت برامج هذه الحكومات معتدلة جدا. في أسبانيا تم رفض مقترح اشتراكي بتأميم الأراضي بسبب معارضة الجمهوريين. كانت الجبهة الشعبية هناك تتكون من الحزب الجمهوري، والاتحاد الجمهوري، والحزب الاشتراكي، وحزب العمال الماركسي الودودي، والحزب السينديكالي، وقوميين باسكيين، وكاتالونيين (كانوا يرون أن — مهدد من قبل اليمين)، وبالطبع الحزب الشيوعي.

عندما اندلعت الحرب، كانت تعليمات ستالين واضحة. كانت جهود كل الشيوعيين موجهة نحو غاية واحدة: كسب دعم بريطانيا، وفرنسا، وإقناعهما بالتخلي عن حيادهما. في أغسطس 1936، تم توقيع اتفاقية عدم تدخل، على أمل منع اتساع رقعة الصراع. اعتقد ستالين أن الحرب الأهلية ستتطور إلى صراع أكبر بكثير إذا تخلت بريطانيا، وفرنسا عن هذه السياسة (كانت ألمانيا، وإيطاليا تدعمان الفاشيين عسكريا فعلا). كان هذا الصراع، الذي كانت روسيا لتبقى بمعزل عنه، سيستنفذ

طاقة الأطراف المتحاربة، وعندها يخرج الأسياد الروس كحكام أوروبا الجدد. بهذا كانت النواحي الثورية من الحرب الأهلية لتهمل، وكان سيتم تصوير الصراع على أنه قد تعدى المطالب الديمقراطية الأساسية (وكان سيصبح كذلك فعلا). في البداية شعر الستالينيون بحاجتهم إلى الحديث عن القيام بثورة بعد هزيمة الفاشيين. لكن حتى هذا الحديث الفارغ توقف سريعا.

يختلف الفهم الستاليني (واللينيني) للاشتراكية عن الفهم الأناركي، بالطبع. سيطرة الجماهير، وإدارة المجتمع من خلال نظام من المجالس أمر مركزي بالنسبة للأناركية. أما بالنسبة للستالينيين فالاشتراكية تقتضي تأميم كل شيء، وإحالة إدارة المجتمع إلى الدولة، التي يسيطر عليها الحزب. تحال هذه الإدارة إلى أيدي محترفين، وفنيين، وبيروقراطيين يتحولون إلى مراعاة مصالحهم الطبقية الخاصة. حتى في حال قرر الستالينيون النضال من أجل "الاشتراكية"، كان عليهم أن يضعفوا الأناركيين.

منذ البداية كانت سياسة خطب ود الطبقات الحاكمة البريطانية، والفرنسية هذه محكوما عليها بالفشل، ليس فقط بسبب عدم استعدادهم عسكريا، ولكن أيضا بسبب إدارتهم أن اشتباكهم في الحرب مع هتلر في هذه المرحلة سيؤدي إلى إضعافهم هم والنازيين، وبالتالي تقوية موقف روسيا. لقد سعى البريطانيون، وحتى اندلاع الحرب العالمية

الثانية، إلى عقد اتفاق مع هتلر مما يسمح لهم بمهاجمة روسيا.

البحرية

قلص نشاط البحرية، التي بقيت موالية للجمهورية، حرصا على عدم تهديد المصالح الأنجلو-فرنسية في مضيق جبل طارق. نجحت البحرية في إنقاذ قاعدة فرانكو في المغرب، ولكنها أوقفت أنشطتها حرصا على عدم إغضاب القوتين الأجنبية. بالتوازي مع ذلك رفضت الحكومة الجمهورية منح المغرب استقلالها، وبالتالي حرمان فرانكو من قاعدته. كان هذا ليضر بالمصالح الاستعمارية البريطانية، والفرنسية في شمال إفريقيا، حيث كانت المغرب لتصبح مثالا يحتذى به لباقي الأمم المحتلة. وفي الواقع، عرضت الحكومة مراعاة مصالح بريطانيا، وفرنسا في المغرب الأسبانية مقابل تدخلهما.

كان اندلاع الثورة إخراجا كبيرا للشيوعيين. لقد اضمحلت كل فرصة كانت لديهم لكسب بريطانيا، وفرنسا إلى صفهم بسبب بدء الثورة الاجتماعية. كان من المستحيل أن تتدخل بريطانيا، وفرنسا، وتقف إلى جانب الثوار. لذلك أخفوا الثورة، وقمعوها في النهاية. لقد قرروا أنه يجب تخطيم سلطة الجمعيات، والميليشيات.

كان لدى الحزب الشيوعي 40,000 عضو وقت اندلاع الحرب الأهلية. إن السؤال الذي يبرز هنا بطبيعة الحال هو: كيف لمنظمة بهذا

الحجم الصغير أن تؤثر بشكل حاسم في سير الأحداث، وأن تصبح بمرور الوقت المجموعة المسيطرة في معسكر الجبهة الشعبية؟

ركز الشيوعيون لدى بناء حزبهم على كاتالونيا، حيث كانت هي قلب الثورة. لقد أغضبت الحركة الجموعية الطبقات الوسطة بشدة. أغلقت الأعمال الصغيرة، وانتهى دور أولئك الذين ينتمون للطبقة الوسطى في كل مكان، حيث تولت لجان العمال عملية التوزيع. كان يفترض أن تلجأ الطبقات الوسطى إلى أحزابها التقليدية، إلا أنها وجدتها غير قادرة على صد الحركة الجموعية. كان الحزب الشيوعي هو الوحيد الذي يبدو جادا في حماية ممتلكاتهم، واستعادتها من أيدي العمال. علق شيوعي سابق قائلا: "لقد رأيت، في مورسيا، أن لافانتانا، ومنشوراتنا تخاطب الأعضاء من أصحاب الأعمال، وتعددهم بالدعم المطلق للملكية الخاصة."

على قدم وساق

تزايدت عضوية الحزب الشيوعي بسرعة كبيرة. فقد انضم إلى الحزب، خلال شهور من اندلاع الحرب، 76,000 من كبار الفلاحين الملاك، والمزارعين المستأجرين للأراضي، و15,485 من أبناء الطبقة الوسطى في المدن. كما تعاظم تأثير الحزب وسط هذه الطبقات، وزاد عن هذه الأرقام بأن وضع الآلاف من أبنائها أنفسهم تحت جناح الحزب، دون أن ينضموا إليه. نظم الشيوعيون 18,000 تاجر،

وحرفي، وصانع صغير في المنظمة المسماة "تضامن العمال" في سبيل حماية مصالح الطبقات الوسطى في حضر كاتالونيا. وصفت صحيفة الاتحاد الكونفيدرالي هذا الكيان بأنه: "أصحاب أعمال متعنتون، معادون للعمال بشراسة." بحلول مارس 1937، وصلت عضوية الحزب الشيوعي إلى 250,000.

كما اتخذت إجراءات أخرى لزيادة تأثير الحزب. اندمج الشيوعيون مع الاشتراكيين الكاتالونيين ليكونوا حزب كاتالونيا الاشتراكي المتحد، فقط بعد أربعة أيام من بدء الانتفاضة المسلحة. وأصبح اتحاد العمال العام المحلي تحت سيطرة الحزب الاشتراكي المتحد، ما دفع بعض الأعضاء من الحزب الاشتراكي، والاتحاد إلى الانشقاق على الشيوعيين، وفعل بعضهم هذا بسرية. رأى العديد من أعضاء الحزب الاشتراكي فرقا صغيرا بين خطهم، وبين خط الشيوعيين، الذي يقول بأن للانتصار في الحرب الأولوية على الثورة، ويحمل مواقف تصالحية تجاه القوى الأجنبية، إلخ. ولكن الشيوعيين استطاعوا تجنيد الكثير على حساب الاشتراكيين، بفضل أدواهم الحزبية القوية (التي كانت أقوى لأنها كانت من موسكو). انضم العديد بسبب "دعائهم الحماسية، والبروباجاندا شديدة اللباقة، وحيويتهم، وقدرتهم على التنظيم، وهيبته المستمدة من الأسلحة السوفيتية."

لقد سيطر الشيوعيون على اتحاد الشباب الاشتراكي. نتج هذا التكتل عن اندماج

الشيوعيين، ومنظمات الشباب الاشتراكية. كان يضم 50,000 عضواً، وتكون قبل نشوب الحرب بقليل. انشق معظم قياديي الشباب الاشتراكي إلى صف الشيوعيين الذين كانوا مع الاندماج، وبذلك ضمنوا سيطرة الشيوعيين على المنظمة الجديدة.

إنه لمن الخطأ القول بأن قيام الثورة المضادة كان فقط بسبب خط، وأنشطة الشيوعيين. لقد اتفق معهم الجمهوريون، والاشتراكيون. تفهقرو الجمهوريون، الذين كانوا يفتقرون إلى أي قاعدة جماهيرية حقيقية، إلى الخلفية، وأحالوا مهمة مناهضة الثورة الاجتماعية، والدفاع عن الطبقات الوسطى، والتي كانت مهمة دقيقة، إلى الشيوعيين. حتى إن لارجو كاباليرو، الذي كان يسارياً اشتراكياً، وقائداً في اتحاد العمال العام، وأصبح رئيساً للوزراء في أغسطس، أعلن عند تشكي الحكومة أنه "كان من الضروري التضحية باللهجة الثورية في مقابل كسب صداقة القوى الديمقراطية"، وأن "الحكومة الأسبانية لا تحارب من أجل الاشتراكية، بل من أجل الديمقراطية، والحكم الدستوري." بالرغم من أن كاباليرو لم ينسق تماماً مع الشيوعيين، إلا أن الكثيرين في حزبه، وحتى أقرب حلفائه، عملوا وفقاً للخط الشيوعي ضد الثورة الاجتماعية.

يجب أيضاً أن نذكر أن مشاركة أعضاء الاتحاد الكونفيدرالي في الحكومة ساعدت على نمو الثورة المضادة. لقد دخلوا الحكومة الكاتالونية في سبتمبر (علينا أن نتذكر أن كاتالونيا كانت

شبه مستقلة)، والحكومة الأسبانية في نوفمبر 1936. سنناقش هذا في الفصل الأخير، يكفيننا الآن أن نقول أن مشاركتهم أضفت على الحكومة بعض المصادقية لدى الجماهير. كان العنصر الرئيسي هو الإثبات للعالم أن القتال في أسبانيا كان ببساطة من أجل إعادة الديمقراطية، وإعادة بناء الدولة المحطمة، وإعادة السلطة، والنفوذ الذين كانا في أيدي العمال المسلحين إلى الحكومة. لقد ساهمت مشاركة الاتحاد الكونفيدرالي في طمأنة الجماهير، وإقناعهم بأن لهم حصة في الحكومة، وأن عليهم الدفاع عنها.

الأسلحة الروسية

ما يهم في موضوع الحزب الشيوعي هو أنهم أداروا الثورة المضادة. لقد كانوا في موقع قيادتها. كانوا الوحيدين الذين صرحوا بـ "ضرورة" الثورة المضادة، وكانوا عازمين على إكمالها. نشأت قدرتهم على ذلك من نفوذهم الذي كان بسبب أن روسيا كانت البلد الوحيد الذي زود الجمهورية بكميات كبيرة من الأسلحة. (كانت المكسيك البلد الوحيد الآخر الذي ساعد بتزويدها بكمية قليلة). لم تقم روسيا بتزويدهم بالأسلحة فقط، بل أيضاً بالمستشارين، والفنيين الذين تولوا إدارة الحرب تدريجياً.

سيخبرك الستالينيون أن روسيا وفرت الأسلحة منذ البداية. هذه كذبة؛ وافق ستالين في البداية على معاهدة عدم التدخل خوفاً من استعداد

الغرب. لم تصل أولى الأسلحة حتى أكتوبر، وقد أرسلت حينها خوفاً من ترجيح الأسلحة الألمانية، والإيطالية لكفة الفاشيين. كانت المعونة تعطى "خفية، ومن أجل الحد من احتمالية إدخال روسيا في حرب" (كريفيتسكي في "دائرة ستالين السرية"، صفحة 81. كان كريفيتسكي رئيس مخابرات ستالين في أوروبا الغربية). بسبب هذا الخوف من الدخول في حرب مع ألمانيا، وإيطاليا، كانت المعونات لدعم المقاومة محدودة، حتى يأتي الوقت الذي قد تتدخل فيه بريطانيا، وفرنسا. كان للمعونة ثمن؛ لقد نقل احتياطي الذهب الأسباني إلى موسكو.

علم الشيوعيون أنه إذا وصلت الثورة المضادة إلى مدى معقول، كانت الدولة، وبمساعدهم، ستسعيد السيطرة على الجيش، والشرطة. لم يكن هناك جدوى من أمر العمال بالتخلي عن الجمعيات، وإلقاء أسلحتهم إذا لم يكن بالإمكان فرض ذلك الأمر. كل الدول تقوم على استعمال القوة بهذا الشكل، ولذلك لا يمكن أن تنجح ثورة دون أن يكون الناس مسلحين.

سهلت المعونة السوفييتية استعادة السيطرة على القوات المسلحة للشيوعيين. لم يكن هذا بسبب كمية الأسلحة التي أرسلها السوفييتيون، بل بسبب أن السوفييتيين كانوا المزودين الأساسيين لتجهيزات الحرب. كان وزير البحرية، والطيران، بریتو، يسخر دائماً من منصبه معلناً أنه "لم يكن وزيراً، ولا أي شيء آخر، لأن

القوات الجوية لم تكن تغطيه. كان وزير الطيران الحقيقي هو اللواء الروسي دوجلاس."

العسكرة

فرض الشيوعيون العسكرة، بدعم آخرين، وبسبب هذه السيطرة على السلاح. تفكك نظام الميليشيات. تمت إعادة بناء جيش نظامي بضباط، ونظام عسكري، وتحتيات عسكرية، وأجور متفاوتة. كانت الأسلحة تمنع عن الميليشيات التي ترفض الخضوع لأمر وزارة الحرب (وقد رفضت العديد من ميليشيات الاتحاد الكونفيدرالي، وحزب العمال الماركسي الوحدوي الخضوع). لم يترك لهم خيار.

بني الجيش الجديد تحت قيادة الشيوعيين. لقد علموا أنه دون السيطرة على الجيش، لم يكن لهم أمل في السيطرة على المعسكر المعادي للفاشية. لقد حصل الشيوعيون على قيادة خمسة من لواءات الجيش الجديد الستة، وذلك بسبب قيادة الفوج الخامس (أكبر وحدة يسيطر عليها الستالينيون) لعملية الحل. كما سيطروا على المندوبية العامة للحرب، والتي أنشئت بهدف سيطرة الجيش على المندوبيات العامة. وحيث أن معظم هؤلاء كانوا من الستالينيين، فقد تحكموا في مرور الصحف السياسية إلى الجبهة. وقد منعت الصحف الأناركية من المرور باستمرار. كان كل ما يقرؤه الجنود هو أكاذيب الحزب الشيوعي.

لم يكن الجيش فقط هو ما أعيد بناؤه، بل والشرطة أيضا، خاصة الحرس المدني الذي كان

قلعة القمع ضد الاتحاد الكونفيدرالي. وسُموا بالحرس الوطني الجمهوري. أعيد تأسيس الشرطة المدنية، وضمت 28,000 مجندا في بداية ديسمبر. وزاد عدد الكاربيينيوس، وهم شرطة الحدود التي كانت مسؤولة عن الجمارك، وتحت سيطرة نيجرين وزير المالية (متعاطف مع الشيوعيين شهير)، إلى 40,000. قبل الحرب كان عددهم في أسبانيا 16,000 فقط. أوضح مدير أمن نيجرين أن دورهم كان "أنتم حراس الدولة، وهؤلاء الحالمون الذين يعتقدون أننا سنسمح بوضع فوضوي من عدم الانضباط الاجتماعي، والاستهتار مخطؤون تماما لأن جيش الشعب، بالإضافة إليكم أنتم الكاربيينيوس، سيعرفون كيف تمنعونه."

لقد احتكرت الدولة القوة. وتم تفكيك دوريات العمال التي أنشئت في يوليو. أمر العمال بتسليم أسلحتهم، وكان من يرفضون أن يسلموها يُعتبرون "فاشين". كانوا يخبرونهم أن هذه الأسلحة مطلوبة على الجبهة. رغم أن هذا القول صحيح، إلى أنه كان يستعمل كوسيلة لنزع السلاح عن العمال الثوريين. كان هناك الكثير من الأسلحة تحت يد الشرطة. لاحظ جورج أورويل بعد أيام مايو في برشلونة أن "الأناركيين كانوا يدركون جيدا أنهم إذا تخلوا عن أسلحتهم، سيحتفظ حزب كاتالونيا الاشتراكي المتحد بأسلحته، وهذا ما حصل حقيقة بعد انتهاء القتال. في نفس الوقت كان من الواضح أنه كان في الشوارع كميات

من الأسلحة كان يمكن أن تكون مفيدة جدا على الجبهة، إلا أنها بقيت من أجل قوات الشرطة "غير السياسية" في الجوار." (تحية إلى كاتالونيا، صفحة 151).

تحركت الثورة المضادة الآن ضد الجمعويات. في 7 يناير 1937، تم إعلان حل لجان التموين العمالية. وتم تسليم مهمة توزيع الطعام إلى G.E.P.C.I. أدى هذا إلى حدوث عجز، وإلى تعطيش السوق لرفع الأسعار. وعانت برشلونة من الجوع لأول مرة منذ بداية الحرب، رغم وجود ما يكفي من الطعام. أُلقي اللوم على الجمعويات، ولكن كان من المعروف أنك ستضمن الحصول على الطعام إذا انضمت إلى حزب كاتالونيا الاشتراكي المتحد.

التأميم

تم سحب الثقة من وسائل الإنتاج التي رفضت الانصياع لأمر الحكومة. كما قيل سابقا، لم يتم الاستيلاء على البنوك، ولذا كانت الحكومة متقدمة ضد العمال. تم إعلان تأميم الصناعات الرئيسية، وبالتالي خضوعها لسيطرة الحكومة. لقد ادعوا أن هذا كان مهما من أجل الحرب. وأن الجمعويات لم تكن بالكفاءة الكافية، وأن كل وسيلة لإنتاج لم تكن مهتمة إلا بمصالحها. لا يمكن إنكار أن بعض الجمعويات كانت تعاني من بعض المشاكل. إلا أن الاتحاد الكونفيدرالي كان يهدف إلى التنسيق من خلال سيطرة المجتمع، وبخاصة العمال. ولتحقق ذلك كان يجب إنهاء الملكيات الخاصة لكل وسائل

الإنتاج. بالطبع لم يكن للشيوعيين أن يسمحوا بذلك، حيث أنه كان يهدد الطبقات الوسطى العزيزة عليهم.

على الأرض، لم يكن يسمح بالإدارة الجموعية إلا لتلك الأراضي التابعة للفاشييين، أما عقارات الداعمين للجمهورية فكانت تعاد إليهم. اتضح المدى الذي يمكن للشيوعيين أن يصلوا إليه في اجتياح أراجون. تم حظر مجلس دفاع أراجون في أغسطس 1937. أعقب هذا الإعلان اجتياح كتبية اللواء ليستر (عضو في حزب كاتالونيا الاشتراكي المتحد) الحادية عشر لأراجون. ووفقا للاتحاد الكونفيدرالي، أعيدت الأراضي، والأدوات الزراعية، والقطعان، والخيول التي صادرها العمال من مناصري اليمين إلى ملاكها السابقين.

حرمت المزارع في بعض القرى من البذور اللازمة للزراعة، بينما اعتقل 600 من أعضاء الاتحاد الكونفيدرالي. بشكل عام، دمرت 30% من الجمعويات، وتم تعطيل الزراعة فيها. كما يمكننا أن نتخيل، لم ينتج من عملية الاجتياح، والقمع الذي تلاها سوى الكراهية، والغضب، وخيبة الأمل. وبدأ الفلاحون في التساؤل عما قاتلوا من أجله. ساهمت خيبة الأمل الناتجة، بلا شك، في انهيار الجبهة بعد أشهر قليلة. كما حصل هجوم مماثل على الجمعويات في ليفان، وكاستيلي.

أظهر هذا ما كان "اشتراكيو" الحزب الشيوعي مستعدين لفعله من أجل اتباع تعاليم ستالين.

كان الجانب الأكثر إظلاما في الواقع هو وجود سجون تابعة للشرطة السرية السوفييتية (رواد المخابرات الروسية) على أرض أسبانيا. لا مجال للشك في أنهم تواجدوا وبشكل قانوني هناك. أعلنت البرافدا في ديسمبر 1936 أنه "بالنسبة لكاتالونيا، فقد بدأ تطهير التروتسكيين، والأناركو-سينديكاليين، وسيجري ذلك بنفس النشاط الذي جرى به في الاتحاد السوفييتي."

هذا ما قاله كريفييتسكي عن أنشطة الشرطة السرية السوفييتية في أسبانيا، والتي اتخذ قرار تأسيسها في مؤتمر طارئ في موسكو، في 14 سبتمبر: "لقد كانت للشرطة السرية السوفييتية سجونها الخاصة. ونفذت وحداتها عمليات اغتيال، وخطف. وعمليات قتل في الزنازين، ومداهمات سريعة. لم يكن لوزارة العدل سلطة على الشرطة السرية. كانت قوة يرتعد لها حتى بعض أرفع مسؤولي حكومة كابيليرو. كان يبدو أن أسبانيا الموالية في قبضة الاتحاد السوفييتي، كما لو كانت ملكية سوفييتية." (في دائرة ستالين الخاصة، صفحة 102).

لقد كانت طريقة للقضاء على الثوار. كان كل من يجرؤ على الحديث ضد ما يفعلونه يدفع الثمن. لقد اغتيل نين، قائد حزب العمال الماركسيي الوحوي، على يد الشرطة السرية، كما قتل كاميلو بيرناري، أناركي إيطالي ناقد لقيادة الاتحاد الكونفيدرالي. نشر بيرناري جريدة "الصراع الطبقي"، والتي كانت تدافع عن فكرة الحرب الثورية ضد الفاشية. لقد قُتل

بيد من يدعون أنفسهم "اشتراكيين" بسبب موقفه المبدئي الثوري. في يوليو من العام 1937، "اختفى" 60 من أعضاء الاتحاد الكونفيدرالي، مصطلح "الاختفاء" كان يستعمل حينها، كما يستعمل الآن، لوصف هؤلاء الذين قتلتهم الشرطة السرية، ولو أنه يستعمل اليوم في ديكتاتوريات أمريكا اللاتينية.

طريقان

ومن هنا ظهر طريقان متعارضان لمحاربة الفاشية. يمكنك القول بأن الستالينيون، ومؤيدوهم سلكوا الطريق الأول. اترك ما عليك فعله لتسرتضي الأسياد في انجلترا، وفرنسا، وآمل على عكس الواقع أن يتدخلوا. قاوم تحويلها إلى حرب أهلية؛ حول من يحق له حكم أسبانيا. ونح السياسة جانبا، واجعلها أمرا ثانويا. تجاهل السياسة الثورية. أبق الأسلحة عند مؤخرة الجيش لقمع حركة العمال. دمر الجمعويات، وضح بمكنسبات العمال، والفلاحين من أجل مصالح ستالين الدولية.

أما الطريق الثاني، والمضاد لهذا الطريق فكان يقول بضرورة دخول الحرب الثورية. اجعل السياسة الثورية سلاحك الرئيسي. أعط الأراضي، والمصانع لمن يشغلونها. انشر دعايتك في الصفوف الخلفية للفاشييين. أعط الفلاحين سببا وجيها لمحاربة فرانكو. أوضح لهم أن في نظام الجمعويات مصلحتهم. فقد عاش الكثيرون خائفين من تدمير الستالينيين

لجمعوياتهم. إن إعطاء الأراضي للفلاحين، وجعلها محور الصراع سيحرم فرانكو من الكثير من الجنود الذين هم أبناء، وبنات فلاحين.

ادعم حرية المغرب. إن تنظيم انتفاضة هناك ضد فرانكو كان من شأنه أن يجرمه من مصدر رئيسي للمؤن، والأسلحة. استنجد مباشرة بالطبقة العاملة الأوروبية (التي لم تكن لحكوماتها مصلحة في دعم الثورة الأسبانية).

استنجد بالعمال الفرنسيين الذين دخلوا، عام 1937، عامهم الثاني من الانتفاضة التي بدأت بإضرابات ضخمة. كان تحركهم ليمنع تدخل فرنسا، وبريطانيا أيضا في الحقيقة، ضد الثورة.

صادر مخزون الذهب، والبنوك. استعمل هذه النقود في شراء الأسلحة، وتأكد من وصول الأسلحة للجبهات التي تحتاجها. كانت هذه نوعية الخطوات التي وجب اتخاذها. لم تكن

لتضمن النصر، ولكنها كانت لتشعل الشرارة التي تنتشر في كل أنحاء أوروبا، وتكسر عزلة الثورة الأسبانية. كانت لتكون نقطة تحول لكل أوروبا. بدلا من ذلك، أصبحت أسبانيا ضحية أخرى من ضحايا الفاشية، وأصبحت الحرب الأهلية مقدمة للحرب العالمية الدموية. لم يكن بإمكان الجبهة الشعبية أن تتخذ هذه الخطوات، لأنها كانت مبنية على أساس من التحالف الطبقي. كان العمال بحاجة إلى السيطرة الكاملة. كان هذا ممكنا، خاصة في كاتالونيا، التي كان يجدر إقامة مؤتمر عام لمجالس عمالها لتأسيس جمهورية العمال. كان لهذا المثال أن يُعمّم في كل أنحاء أسبانيا، وكانت الحرب لتكون حربا ثورية. حرب لتحرير الجماهير الكادحة، لا حرب لإعادة الشيوعيين، والستالينيين، والجمهوريين إلى الحكومة.

لكن الطبقة العاملة لم تستول على السلطة. رفض الاتحاد الكونفيدرالي، الذي كان في موقع مثالي لفعل ذلك. لقد اختار التعاون مع الأعداء، وساند المراسيم التي تقوض الثورة واحدا تلو الآخر. بكل موضوعية، لقد تحول الاتحاد الكونفيدرالي والـFAT إلى صف الثورة المضادة. في وضع السلطة المزدوجة، إما أن يطيح العمال بالطبقة الحاكمة، أو تستعيد الطبقة الحاكمة السيطرة. ليس هناك طريق وسط. ومع تعاون الاتحاد الكونفيدرالي، لم يكن بإمكانه إلا سلوك طريق واحد. لا يمكن صنع أنصاف ثورات. يجب أن تفرض الطبقة العاملة نفسها، وإلا ماتت الثورة. إذن، لماذا لم يتولّ الأناركيون زمام الأمور؟ هذا ما سنناقشه الآن.

الفصل الرابع - ثورة شابة

كما قلنا سابقا، الأناركيون ضد الدولة، كل الدول، سواء كانت ديمقراطية ليبرالية، أو ملكية، أو شمولية. يرى الأناركيون أن الدولة (الجيش النظامي، والشرطة، والحكومة، والبيروقراطية) هي الكيان الذي تحتفظ بواسطته الطبقة الحاكمة بسيطرتها على أغلبية السكان. ويعتبر الاعتقاد القائل بوجوب تدمير الدولة، وإحلالها بنظام مبني على العمال، والمجالس الجماهيرية اعتقادا رئيسيا في الأناركية. يكون المندوبون عن كل وسيلة إنتاج، ومجموعة من الناس المجالس الإقليمية، التي ترسل بدورها مندوبين إلى المجالس الوطنية، التي تكون في النهاية المجالس العالمية. يفوض المندوبون بوضوح، وتتخذ القرارات الرئيسية في مجالس العمال الجماهيرية.

عادة ما تتشكل هذه المجالس عفويا، أو ككيانات دفاعية كالسوفييتات التي نشأت خلال الثورة الروسية. لقد انطلقت في البداية كلجان إضراب، ولكنها سرعان ما تطورت إلى كيانات يمكن للمجتمع الجديد أن يبنى عليها. هذه الفكرة رئيسية في الأناركية. لا يمكن بناء مجتمع حر على الهياكل القديمة، يجب بناء أخرى جديدة يمكن من خلالها تمثيل المنتجين بشكل مباشر. لا تحدث الثورات عبر البرلمان، أو الحكومات، أو الاستيلاء على مؤسسة الدولة الموجودة فعليا.

كانت المجالس، والجمعيات التي ظهرت خلال الحرب الأهلية هي الكيانات التي كان يمكن بناء الثورة عليها. لكن كانت بحاجة إلى تجميعها على مستوى إقليمي، ووطني لكي تفرض قوة العمال، والفلاحين نفسها، وتنحّي الحكومات الإقليمية، والمركزية جانبا. كان هذا يعني رفض اقتسام السلطة مع العناصر المتبقية من الطبقة الحاكمة، وكانت لتكون خطوة هامة في طريق إكمال الثورة.

اتحاد العمال الكونفيدرالي الوطني

رفض اتحاد العمال الكونفيدرالي الوطني فعل ذلك. دُعيت قياداته الكاتالونية بعد التاسع من يوليو إلى مكتب كومبانيز، رئيس وزراء كاتالونيا. لقد أخبرهم بشكل أساسي أنهم أصحاب النفوذ في المنطقة، وأنه سيكون خادهم الأمين إذا تولوا زمام الأمور. وقد رفضوا. وبدلاً من ذلك، دعوا إلى تكوين اللجنة المركزية للميليشيات المعادية للفاشية. كانت هذه أولى خطوات التعاون مع الأعداء. كانت كل الأحزاب، بما فيها الجمهوريين، ممثلة في هذا الكيان. تواجد هذا الكيان جنباً إلى جنب مع الحكومة الكاتالونية. وقد عزلت اللجنة المركزية في سبتمبر 1936 عندما دخل الاتحاد الكونفيدرالي الحكومة. في نوفمبر، دخل 4 من أعضاء الاتحاد الكونفيدرالي الحكومة المركزية في مدريد. كان اثنان منهم أعضاء أيضاً في الاتحاد الفيدرالي للأناركيين الأيبيرين.

كان هذا بعيداً كل البعد عما صُرح به في نشرة الاتحاد الكونفيدرالي، والاتحاد الفيدرالي للأناركيين (CNT-FAI) في سبتمبر 1936. لقد قالت في المقالة المعنونة "عشية الحكومة" أن عمليات المصادرة الجارية ستؤدي بحكم الأمر الواقع إلى "تصفية الحكومة البرجوازية، ما سيؤدي لاحتناق البرجوازية." الآن أصبح أعضاؤهم ينضمون إلى تلك الحكومة بعينها.

قدمت العديد من الأسباب لتبرير ذلك. لقد اقتصروا تماماً بالتبرير المتعلق ببريطانيا، وفرنسا بشكل أساسي. لقد قيل أنه إذا قامت ثورة اجتماعية فسوف تسحق، ولن تأتي أي أسلحة من القوى الغربية (لم تأت الأسلحة بأي حال!). لقد قرروا أن الانتصار في الحرب، وإنجاز الثورة كانا شيئين مختلفين، وأن الأولوية للانتصار في الحرب. كان هذا يعني التعاون مع الأعداء في مجلس الجبهة المعادية للفاشية "... إنه (الاتحاد الكونفيدرالي) مستعد للتعاون مع أي كان في كيان توجيهي في سبيل الانتصار في الحرب، وإنقاذ شعبنا، وإنقاذ العالم، سواء كان اسم هذا الكيان مجلساً، أو حكومة" (اتحاد العمال الكونفيدرالي الوطني، صحيفة الاتحاد في إقليم مدريد، 23 أكتوبر 1936).

كان التمسك بالمكاسب عن طريق دخول الحكومة سبباً آخر يسوقونه. كان بإمكانهم "ضبط الحياة السياسية في أسبانيا بإعطاء الشرعية القانونية للجان الثورية" (خوان لوبيز، وزير التجارة الأناركي). حتى أنهم كانوا يسوقون

حجة أن دخول الحكومة كان للاستهلاك الدولي، وأن الثورة كانت ستستمر تحت غطاء الحكومة الشرعية.

لهذه الأسباب تم الحفاظ على الوحدة ضد الفاشية، وكان يتم قمع كل ما يهدد بتفتيت هذه الوحدة. كانت الحكومة تعلم أنه من المفيد وجود تمثيل للاتحاد الكونفيدرالي، كانت هذه وسيلة إضافية للسيطرة على الجماهير. على أي حال، تجب الإشارة إلى أن قرار دخول الحكومة

اتخذ من اللجنة الوطنية دون استشارة جماهير

العمال الأعضاء. كان هذا خروجاً حقيقياً عن

التقاليد، وبررته القيادة بضرورة التصرف دون

تأخير.

أيام مايو

اتضح الدور الذي لعبه الاتحاد في الحكومة تماماً فيما عرف باسم أيام مايو. في الثالث من مايو 1937، حاولت ثلاث شاحنات شرطة يقودها الستاليني سالاس، مندوب النظام العام، الاستيلاء على سنترال الهاتف في برشلونة، والذي كان يدار بواسطة لجنة مشتركة بين الاتحاد العام، والاتحاد الكونفيدرالي منذ اندلاع الحرب. كان الهدف من ذلك انتزاع السيطرة على المبنى، وعلى نظام الهواتف من العمال. لقد كان عمال الهواتف يراقبون ما يحدث بالاستماع إلى مكالمات الوزراء. كان هذا أيضاً بداية حملة الحكومة لاحتلال النقاط الحيوية، استعداداً للهجوم الشامل.

استولت الشرطة على الطابق الأول بسبب طبيعة هجومهم المفاجئ، ولكن لم يتمكنوا من الذهاب لأبعد من ذلك. بدأ إطلاق النار. انتشرت الأخبار كالنار في الهشيم، وفي غضون ساعات كانت لجان الدفاع المحلية في الاتحاد الكونفيدرالي، والاتحاد الفيدرالي الأناركي تقوم بتسليح نفسها، ووضع المتاريس. ساندتهم حزب العمال الماركسي، وسرعان ما كان العمال يسيطرون على المدينة. كانت الحكومة مسيطرة على المنطقة المركزية فقط، والتي كان الاستيلاء عليها سهلا جدا.

كان التحرك يتم في مناطق أخرى من كاتالونيا أيضا. تم نزع سلاح الحرس المدني، وصودرت مكاتب الحزب الاشتراكي الكاتالوني المتحد كـ"إجراء وقائي". لم تطلق النار في الليلة الأولى، وفي الليلة الثانية نشر العمال المتاريس داخل الضواحي. كما كان شباب التحرير جزءا مما يحدث. كان يمكن أن يستولي العمال على السلطة، بما أنهم كانوا المسيطرين على الأمور، ولكن جاء أمر من المقر الرئيسي للاتحاد الكونفيدرالي منع كل التحركات، وأمر العمال بمغادرة الشكنات. وفرت المفاوضات، التي دخلت فيها قيادات الاتحاد الكونفيدرالي مع الحكومة، مزيدا من الوقت للقوات الحكومية بتحسين المبانى، واحتلال أبراج الكاتدرائية. ظلت اللجنة الإقليمية للاتحاد الكونفيدرالي تناشد العمال طوال يوم الثلاثاء (الرابع من مايو) عبر مكبرات الصوت أن يفككوا المتاريس، ويعودوا إلى العمل. وفي نفس الوقت استمرت المفاوضات،

واستنجدت مراكز عمالية أخرى كانت تتعرض للهجوم بقيادة الاتحاد الكونفيدرالي. واستدعي وزراء الاتحاد الكونفيدرالي من فالنسيا (حيث كان مقر الحكومة وقتها) لإطلاق المزيد من المناشدات للعمال.

رغم استمرار المفاوضات فإنها لم تسفر عن شيء بشأن تبادل السيطرة على التليفونات. أمر العمال بترك الشكنات، وللأسف نفذوا الأمر. يوم الثلاثاء (السادس من مايو) أحل المبنى، وتولى الحزب الاشتراكي الكاتالوني المتحد السيطرة عليه. وفي نفس اليوم سيطر على محطة السكة الحديد. كان ذلك أيضا تحت سيطرة الاتحاد الكونفيدرالي. وحدث هذا في كل أنحاء كاتالونيا.

وبحلول يوم الجمعة وصل 5,000 جندي شرطة مدنية من فالنسيا. كان القمع الذي جرى بعد ذلك شديدا. راح ضحية أيام مايو 500 قتيل، و1,100 جريح. وقُتل مئات آخرون خلال "التطهير" الذي جرى في الأسابيع التالية.

كان مايو هو الشهر الذي انتقلت فيه السيطرة على النظام العام في كاتالونيا إلى فالنسيا، وانتهى الحكم الذاتي. تم التخلص من وزراء الاتحاد الكونفيدرالي، كما تم التخلص من كاباليرو عقب مايو. كانت الحكومة الجديدة تحت سيطرة الستالينيين بكل وضوح. كان وزراء الاتحاد الكونفيدرالي قد أدوا مهمتهم، ولم تعد لهم حاجة. اندلعت الثورة المضادة فعليا بعد مايو بصور المرسوم تلو الآخر بتفكيك اللجان

الثورية. أصبح هذا الآن ممكنا بعد سحق عمود الثورة الفقري؛ العمال الكاتالونيين.

أصدقاء دوروتي

ظهر خلال أيام مايو بديل لسياسات اللجان الوطنية للاتحاد الكونفيدرالي تحت اسم أصدقاء دوروتي. تكونت هذه المجموعة، في مارس 1937، من رجال الاتحاد الكونفيدرالي المعارضين لسياسة تسليح الميليشيات. لقد أخذوا اسم دوروتي، الذي قاد ميليشيات أراجون، ودافع عن الثورة الاجتماعية حتى النهاية. عندما قيل له أن على الاتحاد الكونفيدرالي دخول الحكومة لشرعنة مكاسب الثورة رد قائلا:

"عندما يطيح العمال بالبرجوازية، عندما يهاجم المرء ملكيات الآخرين، عندما يصبح النظام العام في أيدي العمال، عندما تدير الاتحادات الميليشيا، عندما يكون المرء، في حقيقة، وسط ثورة من أسفل لأعلى، كيف يمكن أن توفر لذلك أرضية قانونية؟"

قال جامي باليوس، أحد مسلحي أصدقاء دوروتي، في مارس: "لقد وصلنا نحن الأناركيون إلى آخر حد في التنازلات... ليس قبل ذلك بخطوة. إنها ساعة الفعل. أنقذوا الثورة. لا شك في أننا سوف نسحق في وقت قصير إذا استمرينا في التخلي عن مواقعنا هنا. لهذا السبب الأساسي، من الضروري تطوير اتجاه جديد لحركتنا."

لقد عني بالاتجاه الجديد نهاية الأناركية السياسية. "إننا نحتاج إلى سحق البرجوازية،

وحلفاءها الستالينيين، والاشتراكيين لنهزم فرانكو. يجب تدمير الدولة الرأسمالية تماما، وإرساء سلطة العمال التي تعتمد على لجان

العمال الجماهيرية. لقد فشلت الأناركية اللاسياسية. "لقد دعوا إلى إنشاء مجلس ثوري خلال أيام مايو. ودعوا إلى نزع سلاح الشرطة، واشتراكية الاقتصاد، وحل الأحزاب السياسية، التي انقلبت على الطبقة العاملة. ولذلك دعوا إلى سلطة العمال. ودعوا العمال إلى البقاء في الثكنات حتى السيطرة على كاتالونيا. وأصدرت اللجنة الإقليمية في الاتحاد الكونفيدرالي، يوم الثلاثاء 6 مايو، بيانا تنكرت فيه لأصدقاء دوروتي، ووصفتهم بـ"العملاء المخرضين". في نفس اليوم شن أصدقاء دوروتي هجوما عنيفا على قيادات الاتحاد الكونفيدرالي، وقالوا أنهم أضاعوا فرصة ثورية عظيمة. وطُرد أصدقاء دوروتي من الاتحاد الكونفيدرالي بنهاية مايو. استولت الشرطة على مكاتبهم، وحظرت منظماتهم.

المجلس السياسي

ربما تدهشك فكرة الأناركيين الذين يدعون إلى "مجلس سياسي"، ولكن ماذا كان يقصد به؟ شرح أصدقاء دوروتي في منشورهم "نحو ثورة جديدة" الذي صدر في منتصف 1938 كيف سيكون. لقد وصفوه بأنه تغيير بسيط في الأناركية. "سينظم الكيان كالتالي: ينتخب أعضاء المجلس الثوري بالتصويت الديمقراطي في الاتحادات. كما يحتسب عدد الرفاق الذين هم على الجبهة. يجب أن يكون لهؤلاء الرفاق الحق

في التمثيل. ويتم تغيير من هم في مناصبه بإعادة الانتخابات. وتتحكم مؤتمرات النقابات العامة في أنشطة المجلس."

لم تكن هناك مجموعة من القادة المعينين، بل كيان ديمقراطي يدير العمال من خلاله المجتمع، ويكملون الثورة. ولم يكن هناك تمثيل لغير منظمات الطبقة العاملة، ولا للأحزاب السياسية. كان هذا بعيدا كل البعد عن فكرة لينين عن ديكتاتورية البروليتاريا (تعني ديكتاتورية الحزب) التي كانت لها عواقب كارثية في روسيا.

كانت منظمة أصدقاء دوروتي خارجة عن تقليد لاسياسية الاتحاد الكونفيدرالي. لقد أقروا أن سلطة الدولة لن تختفي ببساطة، ولكن يجب تخطينها، وإحلالها بسلطة مجالس العمال. وقبلوا بشمولية الثورات طالما "تتعامل مع مظاهرها بتقدمية، ولكن على شرط أن الطبقة التي تمثل النظام الجديد يجب أن تكون الأكثر مسؤولية."

لقد فهموا عيوب السينديكالية. لا يمكن أن ينتقص شيء من كفاح الاتحاد الكونفيدرالي. قامت جماهير العمال، حرفيا، بتفكيك الرأسمالية، وإحلالها بجمعويات العمال، والفلاحين. لقد قاتلوا ببسالة في الميليشيات، وتفوق أعضاء الاتحاد الكونفيدرالي على الجميع بشجاعتهم.

ولكنهم، بسبب لا سياسية الاتحاد الكونفيدرالي، لم يعرفوا ما يفعلون بعد الاستيلاء على المصانع، والأراضي. بالنسبة لهم، كان يجب أن تموت الدولة "ميتة طبيعية". ولكنها لم تفعل. رغم أن الاتحاد الكونفيدرالي كانت لديه فكرة رائعة عن

شكل المستقبل الأناركي، وحاجة الطبقة العاملة نفسها لصنع الثورة، إلا أنه لم يتمكن من الربط بين الحالة الثورية، وهدف الشيوعية التحررية.

بكلمات أصدقاء دوروتي: "لم يكن لدينا (الاتحاد الكونفيدرالي) برنامج محدد. لم تكن لدينا فكرة أين نتجه. كانت لدينا الكثير من الأفكار النظرية، ولكن عندما طُبِّقت، لم نعلم ماذا نفعل بجموع العمال التي لدينا، ولا كيف نجعل الجماهير الضخمة مؤثرة." أصروا على أنه لا بد من أن يقوم الاتحاد الكونفيدرالي بـ"التحول إلى مقعد القيادة في البلد، في انقلاب جذري على كل ما هو تقليدي، وقدم."

لم يفهم الاتحاد الكونفيدرالي ذلك. لقد كان الخيار بالنسبة لهم بين التعاون الديمقراطي مع الأعداء، و"ديكتاتورية الأناركيين". لقد قال جارسيا أوليفر، أحد وزراء الاتحاد الكونفيدرالي، وعضو في الاتحاد الفيدرالي للأناركيين الأيريين: "قرر الاتحاد الكونفيدرالي، والاتحاد الفيدرالي للأناركيين الأيريين التعاون، والديمقراطية، ونبد الشمولية الثورية التي كانت لتقود إلى خنق الثورة بالأناركية، والديكتاتورية الكونفيدرالية." لقد كانوا خائفين من الأخذ بزمام الأمور. لكن لم يكن الخيار هو فرض "ديكتاتورية أناركية"، بل إنشاء كيانات جديدة تفرض من خلالها الجماهير سلطتها. لم تتمكن السينديكالية من رؤية ذلك حيث أنها تؤمن بأن الاتحادات (مثل الاتحاد الكونفيدرالي) هي الكيانات التي سيبنى عليها المجتمع الجديد.

ولأن الدولة لم تمت، شعر أعضاء الاتحاد الكونفيدرالي أن عليهم المشاركة فيها ليكون لهم بعض النفوذ. لكنهم توصلوا في النهاية إلى أن هذه هي الطريقة الوحيدة ليكون لهم رأي فيما يحدث. بل إنهم ذهبوا لأبعد من ذلك، وكان بعض المراء الذي خرجوا به نتيجة مباشرة لحاجتهم إلى تبرير مشاركتهم. خذ على سبيل المثال "إن الحكومة في الوقت الحالي، كأداة تتحكم في مؤسسات الدولة، لم تعد كيانا يقسم المجتمع إلى طبقات. وسيقبل قمعهما للناس بما أن الاتحاد الكونفيدرالي تدخل." (تضامن العمال، الرابع من نوفمبر 1936)

البديل

كان أصدقاء دوروتي تعبيراً عن معارضة هذه النوعية من الأفكار. ليس فقط في جريدتهم، أصدقاء الشعب، ولكنك تجد ذلك أيضاً في عدد لا محدود من النشرات المحلية للاتحاد الكونفيدرالي، والاتحاد العام، وحزب العمال الماركسي الوحدوي، والشباب التحرريين. لكن يجب أن نقول أنه لم يصرح بذلك إلا بعد فوات الأوان. لم يكن لدى أصدقاء دوروتي الوقت الكافي لكسب الجماهير إلى صفهم. لقد فهموا الحاجة إلى إعادة التنظيم من أجل تولي القيادة في الاتحاد الكونفيدرالي. "يجب أن تعيد الطليعة (رجال الميليشيات الثورية، وأصدقاء دوروتي، وحزب العمال الماركسي، والشباب) تنظيم نفسها لتحضير برنامج للثوار البروليتاريين."

نرى هنا إدراكاً للحاجة إلى أقلية ثورية تنظم نفسها لتقود الجماهير. لا قيادة نخبوية تمشي الجماهير، بل قيادة تملك فكراً. وتذكر الأخطاء التي حدثت، وما يجب فعله. لم يصدر أصدقاء دوروتي أنفسهم في اقتراح المجلس السياسي كقيادة نخبوية.

إن الثورة الأسبانية لا تلغي الأناركية. ولكنها فضحت إفلاس الستالينية، ورأسمالية الدولة الروسية، حتى قبل بولندا، أو تشيكوسلوفاكيا، أو هنجاريا بفترة طويلة. كانت تحركات الستالينيين بعيدة كل البعد عما كان الاشتراكيون الحقيقيون ليفعلوا.

على الجانب الآخر، أدخلت الجماهير الأناركية نفسها في معركة ضد الفاشية، والرأسمالية؛ قضيتها. وللأسف لم تكتمل الثورة، وكبحتها قيادات الاتحاد الكونفيدرالي. في الحقيقة، ألقى سلوكهم الضوء على تأثير النفوذ حتى على هؤلاء الذين يدعون الأناركية. لقد قدمت أسبانيا دروساً هامة للأناركيين. لقد أظهرت عدم صلاحية السينديكالية، والحاجة إلى الأناركية السياسية، والحاجة إلى التنظيم السياسي الأناركية. يجب أن نفهم أن الدولة، والقوة السياسية لا "تموت"، بل يجب تحطيمها.

أظهرت أسبانيا أن الجماهير العادية يمكنها القيام بالكثير تحت الظروف الصحيحة. في المرة القادمة التي يدعي فيها أحد أن العمال أغبياء، ولا يمكنهم إدارة المجتمع، أشر إلى أسبانيا. أره كيف

فعل العمال والفلاحين (الذين كان معظمهم أميين) ذلك. أخبره أن الأناركية ممكنة.

تعريفات

اتحاد العمال الكونفيدرالي الوطني (CNT): اتحاد عمالي سينديكالي أناركي أُسس في 1911. أكثر الاتحادات ثورية، وتشهدا. سعى إلى تنظيم كل العمال في اتحاد واحد كبير. وتأسس على أفكار الأناركية، والسينديكالية الثورية.

الاتحاد الفيدرالي للأناركيين الأيبيريين (FAI): اتحاد فيدرالي غير منظم من المجموعات الأناركية في أسبانيا، والبرتغال، تكوّن في 1927. كان هدفه الأساسي مكافحة النزعات الإصلاحية في الاتحاد الكونفيدرالي، والحفاظ على هويته الأناركية. كما كان "الجناح المسلح" للاتحاد الكونفيدرالي في وقت كان أصحاب الأعمال يؤجرون مسلحين لاغتيال قيادات الاتحاد الكونفيدرالي. بقدر ما كان لدى الاتحاد نظرية عن دور المنظمات الثورية كان إيماناً بأن الأقلية تستطيع، بالعصيان المسلح، إطلاق الشرارة التي تشعل انتفاضة الجماهير. لقد نظموا انتفاضات في يناير 1932، ويناير 1933، وديسمبر 1933، لكنها جميعاً لم تنجح.

اتحاد الشباب الأيبيري التحرري (FIJL): منظمة شبابية أناركية.

أصدقاء دوروتي (FoD): مجموعة معارضة يسارية داخل اتحاد العمال الكونفيدرالي الوطني، والاتحاد الفيدرالي الأناركي الأيبري، واتحاد الشباب الأيبري التحرري، أُسس في 1937. كانوا ضد دخول الاتحاد الكونفيدرالي الحكومة، ودافعوا عن الثورة الاجتماعية كوسيلة وحيدة لهزيمة فرانكو. وسمّوا على اسم قائد الميليشيا الأناركي الشهير الذي قُتل في نوفمبر 1936.

النساء الحرائر (مويغريس ليبريس): منظمة نسائية أناركية.

الحزب الشيوعي الأسباني (PCE): حزب شيوعي مناصر لروسيا أُسس في 1921.

حزب العمال الماركسي الوحدوي (POUM): حزب شيوعي ضد الستالينية أُسس في 1935 بدمج مجموعة تروتسكية، ومعارضون من الحزب الشيوعي. كان به الكثير من الثوريين، ولكنه كان أساسا حزبا متأرجحا بين الإصلاحية، والثورة. قاتل الكاتب جورج أورويل ضمن ميليشيا الحزب.

حزب العمال الاشتراكي الأسباني، و عُرف باسم "الحزب الاشتراكي" (PSOE): حزب ديمقراطي أُسس في 1879.

الحزب الاشتراكي الكاتالوني المتحد (PUSC): تكون عام 1936 من اندماج مجموعات اشتراكية، وشيوعية. ينتسب إلى الأممية الثالثة، وهو الحزب الشيوعي الفاعل في أسبانيا.

الحزب الجمهوري: حزب الطبقة الوسطى الأصولية، أُسس في 1934.

اتحاد العمال العام (UGT): اتحاد نقابي له صلة بحزب العمال الاشتراكي الأسباني.

التسلسل الزمني للأحداث

1931

أبريل: إعلان الجمهورية، ومغادرة ألفونسو الثالث عشر إلى المنفى.

يونيو: انتخابات الحكومة الجمهورية/الديمقراطية الاجتماعية.

1932

نوفمبر: نصر اليمين الانتخابي، بدءا ببيينو نيجرو.

1934

أكتوبر: سحق الجيش لانتفاضة عمال المتحدين ولكن المعزولين في أوستريا.

1935

7 يونيو: موافقة مؤتمر الأممية الثالثة على تكتيك الجبهات الشعبية. وتكوين الجبهات الشعبية باقتراح الحزب الشيوعي.

1936

يناير: توقيع اتفاقية الجبهة الشعبية بين

الجمهوريين، والستالينيين، والشيوعيين، واتحاد

العمال العام، وحزب العمال الماركسي

الوحدوي، والحزب السينديكالي الصغير.

فبراير: نجاح الجبهة الشعبية في الانتخابات.

أبريل: اندماج منظمات شبابية اشتراكية،

وشيوعية لتصبح منظمة الشباب الاشتراكي

المتحد (JSU) تحت سيطرة ستالينية.

مايو: مؤتمر اتحاد العمال الكونفيدرالي الوطني العام في سرقسطة.

يونيو: انتخاب حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا. وانطلاق العمال الفرنسيين في إضرابات ضخمة، واحتلال المصانع.

17-20 يونيو: قيام انتفاضة مسلحة في

المغرب، وبداية الحرب الأهلية.

18 يوليو: باريو (الاتحاد الجمهوري) يصبح

رئيس وزراء.

19 يوليو: باريو يستقيل، ويصبح جوزي جيرال

(رئيس وزراء). وهزيمة الانتفاضة في برشلونة.

20 يوليو: هزيمة الانتفاضة في مدريد. وتكوين

لجنة الميليشيات المعادية للفاشية في برشلونة.

24 يوليو: أرتال الميليشيا الكاتالونية تتجه إلى

أراجون.

4 سبتمبر: سقوط حكومة جيرال، ولارجو كابليرو (الحزب الاشتراكي) يكون الحكومة الجديدة.

26 سبتمبر: الاتحاد الكونفيدرالي ينضم إلى جينيراليتات (الحكومة الكاتالونية).

30 سبتمبر: مرسوم عسكرية الميليشيات، وإنشاء الجيش الشعبي.

12 أكتوبر: وصول أول المعونات الروسية.

نوفمبر: الاتحاد الكونفيدرالي ينضم إلى الحكومة المركزية.

6 نوفمبر: الحكومة تهرب من مدريد إلى فالنسيا.

20 نوفمبر: موت دوروتي أثناء الدفاع عن مدريد.

ديسمبر: تنظيم الألوية المختلطة في الجيش الشعبي الجديد.

17 ديسمبر: طرد حزب العمال الماركسي الوندوي من حكومة الكاتالونية (جينيراليتات).

23 ديسمبر: الدعم الشعبي يرغب الحكومة على الاعتراف بمجلس أراجون.

1937

5-24 فبراير: معركة حاراما الشهيرة التي سقط

فيها الكثير من المتطوعين الأيرلنديين أثناء قتالهم ضد حصار فرانكو لمدريد.

3-7 مايو: أيام مايو في برشلونة. القوات

الشيوعية، والحكومية تواجه الأناركيين، وحزب العمال الماركسي الوندوي. والظهور الأدبي

لأصدقاء دوروتي داعين إلى مجلس سياسي من مندوبي العمال. احتياح الشرطة المدنية الحكومية لكاتالونيا.

17 مايو: تكوين حكومة جديدة برئاسة د.

خوان نيجرين (عضو في الحزب الاشتراكي، لكنه متعاطف مع الحزب الشيوعي).

16 يونيو: حظر حزب العمال الماركسي الوندوي، واعتقال قياداته.

10 أغسطس: احتياح القوات الحكومية لأراجون بيادة اللواء ليستر. حل مجلس أراجون، وتخطيط الجمعيات (ساهم هذا في تداعي جبهة أراجون في مارس 1938).

1938

3 أبريل: قوات فرانكو تصل إلى حدود كاتالونيا.

14 أبريل: الثوار يقطعون المنطقة الجمهورية إلى منطقتين.

24 يوليو: الجيش الشعبي يبدأ هجوم إيبرو.

26 نوفمبر: انتهاء معركة إيبرو بإجبار الجيش الشعبي على التراجع.

1939

26 يناير: سقوط برشلونة.

5 فبراير: سياسيو الحكومة يبدأون في الفرار إلى فرنسا.

10 فبراير: اكتمال احتلال كاتالونيا.

27 مارس: سقوط مدريد.

1 أبريل: انتهاء الحرب الأهلية.

النص الأصلي:

<http://struggle.ws/pdfs/spain.pdf>